كتاب التوهم

للحارث المحاسبي

أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هو الحارث بن أسد المحاسبي، قطب العارفين في وقته، وأستاذ السائرين في أوانه، برع في عدة علوم، وتكلم على الناس فأراهم الجوهر المكنون، أحد كبار الزهاد، ولسان القوم في ذلك العصر. وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس، وآفات الأعمال. وعرف بالمحاسبي لكثرة محاسبته نفسه، يرجح تاريخ ولادته سنة ١٦٥ هـ بالبصرة، وتوفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ رحمه الله. وهو شيخ الجنيد. وكان امام المسلمين في الفقه والتصوف والكلام وقد روى الحديث وأخذ عن الامام الشافعي.

كان المحاسبي شديد الورع، خالص التقوى، كثير العبادة، وقيام الليالي والتهجد، متقشفاً زاهداً إلى جانب فقهه وغزارة علمه وتمكنه من الوعظ والارشاد والترغيب والترهيب ببيان بليغ. وأسلوب فصيح، وخيال واسع يجعلك تتخيل المشهد وهو مجسم أمامك. مع قوة عقيدة.

كانت أسرة المحاسبي أسرة ميسورة الحال، ويوم مات أبوه خلف سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئاً ولا حبة واحدة. وانه لمحتاج إلى دانق، لأن أباه كان يقول بالقدر، فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئاً، وعاش حياته زاهداً صابراً محتسباً، ورعاً تقياً، وقال: أهل ملتين لا يتوارثان.

ولما وجد سيل المعتزلة قد تعاظم وقوى، نهض بالذب عن السنة وألف في الرد عليهم كتب فقد معظمها، الا أن أكثر آرائه نقلها الشهرستاني في

الملل والنحل. كما ألف كتباً في الرد على الرافضة والقدرية وفي السلوك والتصوف، والفقه والأحكام.

وتوجد علاقة بين المحاسبي، والغزالي.

فان المحاسبي قد نهض بالدفاع عن السنة بعد أن استوعب ثقافة عصره وخلا بنفسه، ودرس وضع الاسلام حينئذ. والامام الغزالي رد على الفلاسفة والمتكلمين بعد خلوته ومنقذه من الضلال واستيعابه لعلوم وثقافة عصره، فكان أثر المحاسبي على الغزالي واضحاً حتى لقد تبطن الامام الغزالي كتبه في كتابه الاحياء، وقال عنه المحاسبي: خير الأمة في علم المعاملة، وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس، وآفات الأعمال.

وقال التميمي عنه: هو امام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام.

وقال ابن الأثير: هو أول من تكلم في اثبات الصفات. ومن فوائده البديعة: من صحح باطنه بالمراقبة والاخلاص، زين الله ظاهره بالمجاهدة.

وقال الحافظ الذهبي: والمحاسبي العارف صاحب التواليف: «صدوق في نفسه، وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه».

وسبب النقمة عليه يعود لأمرين:

أولهما: ان عصره كان عصر نقل وتدوين، وكان يقتصر على نقل النصوص دون اعمال الرأي فيها، فلما نهض المحاسبي باعمال الرأي وتمحيص المسائل في استيعاب وفهم الآثار وبحث واجتهد، نقم عليه علماء عصره وجرحوه.

وثانيهما: نقله لنصوص علماء الكلام والرد عليها لأنه كان يرى أن القيام بالرد على البدع فرض، ولكن الإمام أحمد بن حنبل انكر عليه ذلك وقال: انك

حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها، فبم تأمن أن يطلع الشبهة من تعلق بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه؟

ومن هنا حمل الإمام أحمد على كتب الإمام المحاسبي في علم الكلام، فلم يعتن بها أهل السنة واختفت، الا ما نقله الشهرستاني في الملل، الا أن مسلك الإمام المحاسبي في التصوف والزهد ومحاسبته النفس لم يعترض عليه أحد، لا بل أثنى عليه كثير من الأئمة - رحمهم الله - ومنهم الشيخ ابن تيمية.

ويوجد أثر روحي آخر ينقله السبكي في الطبقات: كان المحاسبي اذا مد يده إلى الطعام فيه شبهة تحرك له عرق في أصبعه، فيمتنع عنه وقد نقل عن الحارث المحاسبي قوله: بيني وبين الله علاقة، اذا لم يكن الطعام مرضياً ارتفع إلى أنفي منه زفرة فلم تقبله نفسي.

وكتابه «التوهم» كتاب نفيس ليس له نظير، فهو يبدأ بوصف نزع الموت وكربه وسكراته، ومعاينة وجه ملك الموت وما يحمل من بشرى بالثواب أو العقاب، ثم يصف الجلوس لسؤال الملكين، وانفراج القبر عن الجنة أو النار.

وبعد ذلك يأخذ في وصف الحشر. ونداء المنادي للعرض على الله عز وجل، وانشقاق السماء، واجتماع حر الشمس وفيضان العرق، وانشغال كل فرد بنفسه، وفرار الانسان من أهله وكانوا مؤنسيه وقرة عينه في الدنيا.

وطلب الخلائق الشفاعة من الأنبياء ومن سيدنا محمد ﷺ ووقوف العبد بقلب مرعوب وجوارح مرتعدة بين يدي رب عظيم.

ثم ينتقل إلى وصف المرور بالصراط، وعذاب جهنم، واستغاثة أهل جهنم ولا مغيث.

ثم يصف بعد ذلك ما أعد الله للمؤمنين من الجنات، وأراييحها، واجتماع الأهل والولدان، ومواكب الحور العين، والخيام وفرشها وزرابيها، والأرائك،

والاستبرق والديباج، واكتمال المسرات، والاشتغال بالنعيم المقيم، وما أعد الله لأهل عباده، وأحبائه من خلقه، ووصف مائدة الرحمن، ورفع الحجاب وظهور ربنا عز وجل ـ بكماله على صفوته، وأثر ذلك في مضاعفة حسن واشراق أحباء الله.

ويختمه في طلب الرضا من الله بالعمل الصالح لكي ننال ثواب المتقين.

وقد قال الدكتور أحمد أمين عن كتاب «التوهم» ومؤلفه:

«نحا فيه منحى طريفاً يدل عليه اسمه فلم يقتصر على ما ورد من الأخبار في الخوف والرجاء كما فعل غيره بل استعمل توهمه ـ وبعبارة أخرى خياله ـ في وصف شعور أهل الجنة وأهل النار وما يلقون من: سعادة وشقاء وعذاب، وأسلس لخياله القيادة فتخيل ما تخيل، وصور ما صور فهي لوحة جميلة لفنان أجاد ألوانها أو رواية رائعة لكاتب جمل منظرها وفصل مواقفها وصقل لغتها حتى يؤثر بالحقيقة التي تتضمنها في نفوس القارئين والسامعين أكبر الأثر وأبلغه».

وقال فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غده عن كتاب «التوهم»:

«هذا، وللمؤلف المحاسبي ـ رحمه الله تعالى ـ: كتاب نفيس في هذا المعنى، سماه (التوهم) تحدث فيه عن شعور أهل النار وما يلقون قبلها وبعد الدخول فيها من أهوال وعذاب، كما تحدث فيه عن شعور أهل الجنة وما يلقون قبلها وما يجدون قبلها وبعد الدخول فيها من شعور وتكريم وثواب، وبين هذا وذاك مرحلة مرحلة، حتى لكأنك تراه رأي العين وتحسه احساس المباشر له، واستعرضه بلغة عالية مشرقة، وبيان مؤثر بليغ، يفيد قارئه خشعة وعبرة، ويورثه يقظة لعمل الآخرة، فعليك بقراءته، والله يتولانا واياك».

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الحمد لله الواحد القهار، العظيم الجبار، الكبير المتعال، الذي جعلنا للبلوى[٢] والاختبار، وأعد لنا الجنة والنار، فعظم لذلك الخطر، وطال لذلك الحزن لمن عقل وادكر، حتى يعلم أين المصير وأين المستقر، لأنه قد عصى الرب وخالف المولى، وأصبح وأمسى بين الغضب والرضا، لا يدري أيهما قد حل ووقع له، فعظم لذلك غمه وطال لذلك حزنه، واشتد كربه حتى يعلم كيف عند الله حاله، فالى الله فارغب في التوفيق، واياه فسل العفو عن الذنوب، وبه فاستعن في كل الأمور. فعجبت كيف تقر عينك أو كيف يزايل الوجل والاشفاق قلبك، وقد عصيت ربك واستوجبت بعصيانك غضبه وعقابه، والموت لا محالة نازل بك بكربه وغصصه ونزعه وسكراته، فكأنك قد نزل بك وشيكاً سريعاً.

فتوهم نفسك وقد صرعت للموت صرعة لا تقوم منها الا إلى الحشر إلى ربك، فتوهم نفسك في نزع الموت وكربه وغصصه وسكراته وغمه وقلقه، وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدمك فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك، ثم تدارك الجذب واستحث النزع وجذبت الروح من جميع بدنك، فنشطت من أسفلك متصاعدة إلى أعلاك حتى اذا بلغ منك الكرب منتهاه وعمت آلام[٣]

---

(١) كتاب «التوهم» للحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله. زائد في الأصل.

(٢) للبلوا.

(٣) في الهامش.

الموت جميع جسمك، وقلبك وجل محزون مرتقب منتظر للبشرى[1] من الله عز وجل بالغضب أو الرضا، وقد علمت انه لا محيص لـك دون أن تسمع احـدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك، فبينا أنت في كربك وغمومك وألم الموت بسكراته وشدة حزنك لارتقابك احدى البشريين من ربك، اذ نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت بأحسن الصورة أو بأقبحها، ونظرت إليه ماداً يـده إلى فيك ليخرج روحك من بدنك، فذلت نفسك لما عاينت ذلك وعاينت وجه ملك الموت، وتعلق قلبك بماذا يفجأك من البشرى منه اذا سمعت صوته بنغمته أبشر يا ولي الله برضا الله وثوابه أو أبشر يا عدو الله بغضبـه وعقابـه، فتستقين حينئذ بنجاتك وفوزك ويستقر الأمـر في قلبك فتـطمئن إلى[2] الله نفسك، أو تستقين بعطبك وهلاكك ويحل الاياس قلبك وينقطع من الله عز وجل رجاؤك وأملك، فيلزم حينئذ غاية الهم والحزن أو الفرح والسرور قلبك حين انقضت من الدنيـا مدتك وانقطع منها أثرك وحملت إلى دار من سلف من الأمم قبلك.

فتوهم نفسك حين استطار قلبك فـرحاً وسـروراً، أو ملىء حزنـاً وعبرة، وبفترة القبر وهـول مطلعـه وروعة الملكين وسؤالهمـا فيه عن ايمـانك بـربك، فمثبت من الله جـل ثناؤه بـالقول الثـابت أو متحيـر شـاك مخـذول . فتـوهم أصواتهما حين ينادیانك لتجلس لسؤالهما اياك ليوقفاك على مسائلتهما، فتوهم جلستك في ضيق لحدك، وقد سقطت أكفانك على حقويك والقطنة من عينيك عند قدميك. فتوهم ذلك ثم شخوصك ببصرك إلى صورتهما وعظم أجسامهما، فان رأيتهما بحسن الصورة أيقن قلبك بالفوز والنجاة، وان رأيتهما بقبح الصورة أيقن قلبك بالهلاك والعطب، فتوهم أصواتهما وكلامهما بنغماتهما وسؤالهما ثم هو تثبيت الله اياك ان ثبتك أو تحييره[3] ان خذلك.

---

(١) للبشرا.
(٢) ناقص في الأصل.
(٣) تحيره.

فتوهم جوابك باليقين أو بالتحير أو بالتلديد والشك، وتوهم اقبالهما عليك ان ثبتك الله عز وجل بالسرور وضربهما بأرجلهما جوانب قبرك بانفراج القبر عن النار بضعفك. ثم توهم وهي تتأجج بحريقها، واقبالهما عليك بالقول، وأنت تنظر إلى ما صرف الله عنك فيزداد لذلك قلبك سروراً وفرحاً ونوقن بسلامتك من النار بضعفك. ثم توهم ضربهما بأرجلهما جوانب قبرك[1] وانفراجه عن الجنة بزينتها ونعيمها وقولهما لك: يا عبد الله انظر إلى ما أعد الله لك، فهذا منزلك وهذا مصيرك. فتوهم سرور قلبك وفرحك بما عاينت من نعيم الجنان وبهجة ملكها وعلمك أنك صائر إلى ما عاينت من نعيمها وحسن بهجتها. وان تكن الأخرى فتوهم خلاف ذلك كله من الانتهار لك ومن معاينتك الجنة وقولهما لك[2]: انظر إلى ما حرمك الله عز وجل، ومعاينتك النار وقولهما لك: انظر إلى ما أعد الله لك، فهذا منزلك ومصيرك. فأعظم بهذا خطراً، وأعظم به عليك في الدنيا غماً وحزناً حتى تعلم أي الحالتين في القبر حالك، ثم الفناء والبلاء بعد ذلك، حتى تنقطع الأوصال فتفنىٰ عظامك ويبلى[3] بدنك ولا يبلى حزن البشرى أو الفرح من روحك متوقع روحك(؟) متطلع للقيام عند النشور إلى غضب الله عز وجل وعقابه، أو إلى رضا الله عز وجل وثوابه، وأنت مع توقع ذلك معروضة روحك على منزلك من الجنة أو مأواك من النار، فياحسرات روحك وغمومها، ويا غبطتها وسرورها حتى اذا تكاملت عدة الموتى وخلت من سكانها الأرض والسماء فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حس يسمع، ولا شخص يرى[4] وقد بقي الجبار الأعلى[5] كما لم يزل أزلياً واحداً منفرداً بعظمته وجلاله، ثم لم يفجأ روحك الا بنداء المنادي لكل الخلائق معك للعرض على الله عز وجل بالذل والصغار منك ومنهم.

---

(1) كذا في الهامش، وفي الأصل: القبر.
(2) في الهامش.
(3) ويبلا.
(4) يرى.
(5) الأعلا.

فتوهم كيف وقوع الصوت في مسامعك وعقلك وتفهم بعقلك بأنك تدعى[1] إلى العرض على الملك الأعلى[2] فطار فؤادك وشاب رأسك للنداء لأنها صيحة واحدة بالعرض على ذى الجلال والاكرام والعظمة والكبرياء. فبينا أنت فزع للصوت اذ سمعت بانفراج الأرض عن رأسك،فوثبت مغبراً من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك، قائم على قدميك شاخص ببصرك نحو النداء، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة وهم مغبرون[3] من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم[4]. فتوهم ثورتهم بأجمعهم بالرعب والفزع منك ومنهم، فتوهم نفسك بعريك ومذلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق، عراة حفاة صموت أجمعون بالذلة والمسكنة والمخافة والرهبة، فلا تسمع الا همس أقدامهم والصوت لمدة المنادى، والخلائق مقبلون نحوه وأنت فيهم مقبل نحو الصوت، ساع[5] بالخشوع والذلة، حتى اذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والانس عراة حفاة، قد نزع الملك من ملوك الأرض ولزمتهم الذلة والصغار، فهم أذل أهل الجمع وأصغرهم خلقة وقدراً بعد عتوهم وتجبرهم على عباد الله عز وجل في أرضه. ثم أقبلت الوحوش من البراري وذرى الجبال منكسة رؤوسها[6] لذل يوم القيامة بعد توحشها وانفرادها من الخلائق ذليلة ليوم النشور لغير بلية نابتها ولا خطية أصابتها، فتوهم اقبالها بذلها في اليوم العظيم ليوم العرض والنشور، وأقبلت السباع بعد ضراوتها وشهامتها منكسة رؤوسها[6] ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها خاشعة لذل العرض على الله سبحانه، فسبحان الذي جمعهم بعد طول البلاء

---

(1) تدعا.
(2) الأعلا.
(3) مغبرين.
(4) بلاهم.
(5) ساعي.
(6) روسها.

واختلاف خلقهم وطبائعهم وتوحش بعضهم من بعض قد أذلهم البعث وجمع بينهم النشور. حتى اذا تكاملت عدة أهل الأرض من انسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها، واستووا جميعاً في موقف العرض والحساب تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بخمود سراجها واطفاء نورها. فبينا أنت والخلائق على ذلك اذ صارت السماء الدنيا من فوقهم، فدارت بعظمها من فوق رؤوسهم[1]، وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك، ثم انشقت بغلظها خمسمائة عام، فياهول صوت انشقاقها في سمعك، ثم تمزقت وانفطرت بعظيم هول يوم القيامة والملائكة قيام على أرجائها وهي حافات ما يتشقق ويتفطر، فما ظنك بهول تنشق فيه السماء بعظمها، فأذابها ربها حتى صارت كالفضة المذابة تخالطها صفرة لفزع يوم القيامة، كما قال الجليل الكبير: فصارت **﴿وردة كالدهان﴾**[2]، و**﴿يوم تكون السماء كالمهل. وتكون الجبال كالعهن﴾**[3].(فقال المفسرون أن المهل هي الفضة المذابة يخالطها صفرة، وان العهن هو الصوف المنفوش، وقوله وردة كالدهان كلون الفرس الورد). فبينا ملائكة السماء الدنيا على حافتها اذ انحدروا محشورين إلى الأرض للعرض والحساب، وانحدروا من حافتيها بعظم أجسامهم وأخطارهم وعلو أصواتهم بتقديس الملك الأعلى الذي أنزلهم محشورين إلى الأرض بالذلة والمسكنة للعرض عليه والسؤال بين يديه. فتوهم تحدرهم[4] من السحاب بعظيم أخطارهم وكبير أجسامهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم منكسين لذل العرض على الله عز وجل ـ كما حدثني يحيى بن غيلان الأسلمي قال: حدثنا رشدين بن سعيد عن أبى السمح عن أبي قبيل عن عبد الله ابن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «**لله ملك ما بين مواقي عينيه إلى**

---

(1) روسهم.
(2) الرحمن: ٣٧.
(3) المعارج: ٨، ٩.
(4) يحذرهم.

آخر[1] **شفره مسيرة مائة عام**»[2]، حدثني يحيى بن غيلان قال: حدثنا رشدين ابن سعيد عن ابن عباس بن ميمون اللخمى عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو ابن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «**لله عز وجل ملك ما بين شفري عينيه مائة عام**» - فيا فزعك وقد فزع الخلائق مخافة أن يكونوا أمروا بهم، ومسئلتهم اياهم: أفيكم ربنا؟ ففزع الملائكة من سؤالهم اجلالاً لمليكهم أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم تنزيها لما توهمه أهل الأرض: سبحان ربنا ليس هو بيننا فهو آت، حتى أخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسين رؤوسهم[3] لذل يومهم. فتوهمهم، وقد تسربلوا بأجنحتهم ونكسوا رؤوسهم[3] في عظم خلقهم بالذل والمسكنة والخشوع لربهم، ثم كل شيء على ذلك وكذلك إلى السماء السابعة كل أهل سماء مضعفين بالعدد، وعظم الأجسام، وكل أهل سماء محدقين بالخلائق صفا واحداً، حتى اذا وافى[4] الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين وادنيت من رؤوس[5] الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظل لأحد إلا ظل عرش رب العالمين، فمن بين مستظل بظل العرش، وبين مضحو بحر الشمس، قد صهرته بحرها واشتد كربه وقلقه من[6] وهجها، ثم ازدحمت الأمم وتدافعت، فدفع بعضها بعضاً وتضايقت فاختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش واجتمع حر الشمس ووهج أنفاس الخلائق وتزاحم أجسامهم، ففاض العرق منهم سائلاً حتى استنقع على وجه الأرض ثم على الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند الله عز بالسعادة والشقاء، حتى اذا بلغ من بعضهم العرق كعبيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى

---

(1) أحر.

(2) قال القاري: لا يوجد له أصل، وفي المغنى على الاحياء قال: لم أره بهذا اللفظ. كشف الخفا: ١/٢٩٤، احياء علوم الدين: ٢٩٦١.

(3) روسهم.

(4) وافا.

(5) روس.

(6) فوق.

شحمة أذنيه، ومنهم من قد[١] كاد أن يغيب في عرقه ومن قد توسط العرق من دون ذلك منه ـ عن عمير بن سعيد قال: جلست إلى ابن عمرو وأبى سعيد الخدري، وذلك يوم الجمعة فقال أحدهما لصاحبه: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أين يبلغ العرق من ابن آدم يوم القيامة؟ فقال أحدهم: شحمة أذنيه، فقال: ما أرى ذلك إلا سواء**»[٢]. عن خيثمة عن عبد الله قال: «الأرض كلها نار يوم القيامة، والجنة من ورائها يرون كواعبها وأكوابها، والذي نفس عبد الله بيده ان الرجل ليفيض عرقاً حتى يسيح في الأرض قامته، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه، وما مسه الحساب، قال فقالوا: مم ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال فقال: مما يرى الناس يلقون». عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ان الرجل** (وقال علي مرة ان الكافر) **ليقوم يوم القيامة في بحر رشحه إلى أنصاف أذنيه من طول القيام**»[٣]. عن عبد الله رفعه إلى النبي ﷺ «**ان الكافر يلجم بعرقه يوم القيامة من طول ذلك اليوم** (وقال على من طول القيام قالا جميعاً) **حتى يقول رب أرحني ولو إلى النار**»[٤] ـ وأنت لا محالة أحدهم، فتوهم نفسك لكربك وقد علاك العرق وأطبق عليك الغم وضاقت نفسك في صدرك من شدة العرق والفزع والرعب، والناس[٥] معك منتظرون[٦] لفصل القضاء إلى دار السعادة أو

---

(١) في الهامش.

(٢) فتح الباري ١١/٣٩٢، النووي على مسلم ٥/٧١٥، الاحياء: ٢٩٥٥.

(٣) النووي على مسلم ٥/٧١٤ عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وأخرجه البخاري عن الإمام مالك عن نافع بلفظ مقارب. فتح الباري ١١/٣٩٢.

وللحديث ألفاظ وتخريجات أخرى ويمكن مراجعة: تفسير ابن كثير ٤/٤٨٣، الجامع الصغير بشرح فيض القدير ٢/٣٣٨. اللؤلؤ والمرجان جـ٣ ص ٢٩٦.

(٤) أخرجه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط للفظ مقارب، ورمز له السيوطي بالحسن في الجامع الصغير، كما أخرجه الطبراني وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر. وقال الهيثمي: رجال الكبير رجال الصحيح. وقال المنذري: اسناده جيد. فيض القدير ٢/٣٣٨، فتح الباري ١١/٣٩٤.

(٥) تحت. (٦) منتظر. زائد باليد الأولى.

إلى دار الشقاء، حتى اذا بلغ المجهود منك ومن الخلائق منتهاه وطال وقوفهم لا يكلمون ولا ينظرون[1] في أمورهم، فما ظنك بوقوفهم ثلاثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يلفح وجوههم روح ولا طيب نسيم، ولا يستريحون من تعب قيامهم ونصب وقوفهم حتى بلغ الجهد منهم مالا طاقة لهم به ـ عن قتادة أو كعب، قال: ﴿**يوم يقوم الناس لرب العلمين**﴾[2] قال: «يقومون مقدار ثلاثمائة عام»، قال سمعت الحسن يقول: «ما ظنك بأقوام قاموا لله عز وجل على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت أعناقهم من العطش واحترقت أجوافهم من الجوع انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد نفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاه أن يشفع لهم في الراحة من مقامهم وموقفهم لينصرفوا إلى الجنة أو إلى[3] النار من وقوفهم ففزعوا إلى آدم ونوح ومن بعده ابراهيم، وموسى وعيسى من بعد ابراهيم، كلهم يقول لهم: ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، فكلهم يذكر شدة غضب ربه عز وجل وينادي بالشغل بنفسه فيقول: نفسي نفسي، فيشتغل بنفسه عن الشفاعة لهم إلى ربهم لاهتمامه بنفسه وخلاصها» وكذلك يقول الله عز وجل: ﴿**يوم[4] تأتي كل نفس تجدل عن نفسها**﴾[5] فلم يحاس (؟) من الخلائق أحداً.

فتوهم أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم، منفرد كل واحد منهم بنفسه ينادي: نفسي نفسي، فلا تسمع الا قول نفسي نفسي. فياهول ذلك وأنت نادي معهم بالشغل بنفسك والاهتمام بخلاصها من عذاب ربك وعقابه، فما

---

(١) ينظروا.
(٢) المطففين: ٦
(٣) في الهامش.
(٤) القيامة. زائد باليد الأولى.
(٥) النحل: ١١١.

ظنك بيوم ينادي فيه المصطفى آدم، والخليل ابراهيم، والكليم موسى، والروح والكلمة عيسى مع كرامتهم على الله عز وجل وعظم قدر منازلهم عند الله عز وجل، كل ينادي: نفسي نفسي، شفقاً من شدة غضب ربه، فأين أنت منهم في اشفاقك في ذلك اليوم واشتغالك بذلك[١] اليوم، وبحزنك وبخوفك؟ حتى اذا أيس الخلائق من شفاعتهم لما رأوا[٢] من اشتغالهم لأنفسهم أتوا النبي محمداً[٣] ﷺ فسألوه الشفاعة إلى ربهم فأجابهم اليها، ثم قام إلى ربه عز وجل واستأذن عليه فأذن له ثم خر لربه عز وجل ساجداً ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه لما هو أهله، وذلك كله بسمعك وأسماع الخلائق حتى أجابه ربه عز وجل إلى تعجيل عرضهم، والنظر في أمورهم. فبينما أنت مع الخلائق في ظلم القيامة وشدة كربها منتظر متوقع لفصل القضاء والحلول في دار النعيم أو الحزن اذ سطع نور العرش وأشرقت الأرض بنور ربها، وأيقن[٤] قلبك بالجبار، وقد أتى لعرضك عليه حتى كأنه لا يعرض عليه أحد سواك، ولا ينظر الا في أمرك - عن حميد بن هلال: قال: «ذكر لنا أن الرجل يدعى[٥] يوم القيامة إلى الحساب فيقال: يا فلان بن فلان هلم إلى الحساب، حتى يقول ما يراد أحد غيري مما يحضر به من الحساب» - ثم نادى: يا جبريل ائتنى بالنار، فتوهمها وقد أتى[٦] جبريل فقال لها: يا جهنم أجيبي، فتوهم اضطرابها وارتعادها بفرقها أن يكون الله عز وجل خلق خلقاً يعذبها به، فتوهمها حين اضطربت وفارت ونارت، ونظرت إلى الخلائق من بعد مكانها فشهقت اليهم وزفرت نحوهم وجذبت خزانها متوثبة على الخلائق غضباً لغضب ربها على من خالف أمره وعصاه، فتوهم صوت زفيرها وشهيقها، وترادف قصبتها، وقد امتلأ منه سمعك، وارتفع له فؤادك وطار فزعاً ورعباً، ففر الخلائق هرباً من زفيرها على وجوههم، وذلك

---

(١) في الهامش.

(٢) روا.

(٣) في الهامش.

(٤) ربك. زائد باليد الأولى.

(٥) يدعا.

(٦) أتا.

يوم التنادي، لما سمعوا بدو زفيرها ولوا مدبرين وتساقطوا على ركبهم جثاة حول جهنم فأرسلوا الدموع من أعينهم.

فتوهم اجتماع أصوات بكاء الخلائق عند زفيرها وشهيقها وينادي الظالمون بالويل والثبور وينادي كل مصطفى وصديق ومنتخب وشهيد ومختار وجميع العوام: نفسي نفسي، فتوهم أصوات الخلائق الأنبياء فمن دون كل عبد منهم ينادي: نفسي نفسي وأنت قائلها، فبينا أنت مع الخلائق في شدة الأهوال ووجل القلوب اذ زفرت الثانية فيزداد رعبك ورعبهم وخوفك وخوفهم، ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم[1] وتنتخص بأبصارهم ينظرون من طرف خاشع خفى خوفاً أن تلفهم فتأخذهم بحريقها، وانتصفت عند ذلك قلوب[2] الظالمين فبلغت لدى[3] الحناجر كاظمين فكظموا عليها وقد غصت في حلوقهم وطارت الألباب وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين فلا يبقى رسول ولا عبد صالح مختار الا ذهل لذلك عقله فأقبل الله عز وجل عند ذلك على رسله وهم أكرم الخلائق عليه وأقربهم اليه لأنهم الدعاة إلى الله عز وجل والحجة على عباده، وهم أقرب الخلائق إلى الله عز وجل في الموقف وأكرمهم عليه، فيسألهم عما أرسلهم به إلى عباده وماذا ردوا عليهم من الجواب فقال لهم: ماذا أجبتم؟ فردوا عليه الجواب عن عقول ذاهلة غير ذاكرة فقالوا: ﴿**لا علم لنا انك أنت علام الغيوب**﴾[4] فأعظم به من هول تبالغ من رسل الله عز وجل في قربهم منه وكرامتهم حتى أذهل عقولهم، فلم يعلموا بماذا أجابتهم أممهم - عن أبي الحسن الدمشقي، قال: قلت لأبي قرة الأزدي: «كيف صبر قلوبهم على أهوال يوم القيامة؟ قال: انهم اذا بعثوا خلقوا خلقة يقوون عليها». قال أبو الحسن: قلت لاسحق بن خلف قول الله عز وجل للرسل: ﴿**ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا**﴾[4]، أليس قد علموا ما رد عليهم في الدنيا؟ قال: من عظم هول السؤال

---

(١) لوجوهم.

(٢) في الهامش.

(٣) لدا.

(٤) المائدة: ١٠٩

حين يسـألون[1] طـاشت عقولهم فلم يـدروا أي شيء أجيبوا في الـدنيـا، فهم صـادقون حتى تجلى[2] عنهم بعـد، فعرفـوا ما أجيبـوا، قال: فحـدثت به أبـا سليمان، فقال: صدق اسحاق هم في ساعتهم تلك صادقـون، حتى تجلى[3] عنهم فعرفوا ما أجيبوا، فقال أبو سليمان: «اذا سمعت الرجل يقول لصاحبه بيني وبينك الصراط فـاعلم أنه لا يعـرف الصراط ولـو عرفـه ما اشتهى[4] أن يتعلق بأحد، فلا يتعلق أحد» عن مجاهد في قوله: ﴿**يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم**﴾[5] قال: فيفزعون فيقولون: ﴿**لا علم لنا**﴾[5] عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿**وترى كل أمة جاثية**﴾[6] أي مستوفزين على الركب، قال: سمعت عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: ﴿**كأني أراكم بالكوم جاثين دون جهنم**﴾[7]، قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ** ﴿**إذا الشمس كورت**﴾[8] وعن عمرو بن ذر قال: «من غدا يلتمس الخير وجد الخير، أعلى تحملون جمود أعينكم وقسـوة قلوبكم؟ احملوا العى على ان لم أسمعكم اليوم واعظاً من كتاب الله عز وجل»، ثم قرأ ﴿**إذا الشمس كورت. وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيرت**﴾[9] ـ حتى اذا بلغ ـ ﴿**علمت نفس ما أحضرت**﴾[10] (أو قال حتى ختمها)، قال ثم قال: اسمعوا الى يا عرض الدنيا ـ فأين أنت منهم في ذلك الموقف؟ هل تطمع أن يبلغ لك الهول ما بلغ

---

(1) يسئلوا.
(2) تحلا.
(3) تجلا.
(4) اشتها.
(5) المائدة: ١٠٩
(6) الجاثية: ٢٨.
(7) قول مجاهد وصله الطبري من طريقه فتح الباري ٥٧٤/٨، ابن كثير ١٥٢/٤، تفسير القرطبي ١٧٤/١٦.
(8) أخرجه أحمد والطبراني وصححه الحاكم ولفظ أحمد مختلف. فتح الباري ٦٩٥/٨، والآية من سورة التكوير: ١.
(9) التكوير: ١ ـ ٣.
(10) التكوير: ١٤.

منهم، بل أعظم مما بلغ منهم مالا يطيقه قلبك فلا يقوم به بدنك فهذه عقولهم ذاهلة في ذلك الموقف، فكيف بعقلك وما حل بـك وأنت الخاطىء العـاصى المتمادي فيما يكره ربك عز وجل؟

فتوهم نفسك لذلك الخوف والفزع والرعب والغربة والتحير اذا تبرأ منك الولد والوالد والأخ والصاحب والعشائر، وفررت أنت[1] منهم أجمعين، فكيف خذلتهم وخذلوك، ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والحفاظ أن تفر من أمك وأبيك وصاحبتك وبينك وأخيك، ولكن عظم الخطر واشتد الهول فلا تلام على فرارك منهم ولا يلامون[2] ولم تخصهم بالفرار دون الأقرباء لبغضـك ايـاهم، وكيف تبغضهم[3] أو يبغضـونـك، وكيف خصصتهم بـالفــرار منهم، أتبغضهم[3] وانهم لهم الذين كانوا في الدنيا مؤانسيك وقرة عينك وراحة قلبك، ولكن خشيت أن يكون لأحد عندك منهم تبعة فيتعلق بك حتى يخاصمك عند ربك عز وجل، ثم لعله أن يحكم له عليك فيأخذ منك ما ترجو[4] أن تنجو به[5] من حسناتك فيفرقك منها فتصير بذلك إلى النار. فبينما أنت في ذلك اذ ارتفعت عنق من النـار فنطقت بلسـان فصيـح بمن وكلت بـأخـذهم من الخـلائق بغيـر حساب، ثم أقبل ذلك العنق فيلقطهم لقط الطير الحب ثم انطوت عليهم فألقتهم في النار فابتلعتهم، ثم خنست بهم في جهنم فيفعل ذلك بهم، ثم ينادي مناد: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ليقيم الحمادون لله على كل حال، فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهـل قيام الليـل، ثم بمن لم يشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر مولاه[6] حتى اذا دخلت هذه الفرق من أهل الجنـة[7]

---

(١) في الهامش.
(٢) يلاموا.
(٣ - ٣) في الهامش.
(٤) ترجوا.
(٥) تنجوا.
(٦) راجع سورة النور آية: ٣٧.
(٧) في الهامش.

والنـار، ثم تطايـرت الكتب في الأيمان والشمـائل ونصبت المـوازين، فتـوهم الميزان بعظمه منصوباً وتوهم الكتب المتـطايرة وقلبـك واجف متوقـع أين يقع كتـاب في يمينك أو في شمـالك ـ عن الحسن: «أن رسـول الله ﷺ كان رأسـه في حجـر عـائشـة فنعس، فتـذكـرت الآخـرة، فبكت فسـالت دمـوعهـا على خـد النبي ﷺ، فاستيقظ بدموعها فرفع رأسه، فقال: ما يبكيك يا عائشة؟ فقالت: يا رسول الله ذكرت الآخرة، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فان أحداً لا يذكر الا نفسه: اذا وضعت الموازين ووزنت أعمال بني آدم عند الموازين حتى ينظر أيخف ميزانه أم يثقـل، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ أم بشماله، وعند الصراط»[1].

عن أنس بن مالك قال: يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوته بسمع الخلائق: سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى[2] بعدها أبداً، وان خف ميزانه نـادى[3] الملك بصوته بسمع الخلائق: شقى فلان بن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبـداً». فبينا أنت واقف مع الخلائق اذ نظرت إلى الملك وقد أمر أن يحضر بالزبانية فأقبلوا بأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من النار، فلمـا رأيتهم فهبتهم طار قلبـك فزعاً ورعباً، فبينا أنت كذلك اذ نودي باسمك فنوديت على رؤوس[4] الخلائق الأولين والآخرين: أين فلان بن فلان؟ هلم إلى[5] العرض على الله عز وجل، وقد وكل الملائكة بأخذك حتى يقربوك[6] إلى ربك فلم يمنعها اشتبـاه الأسماء

---

(١) أخرجه أبو داود، وليس فيه ذكر وضع رأسه الشريف في حجر عائشة ولا سيلان الـدموع على الخد، والزيادة في لفظ أبي داوود تظهر في قوله: وعند الكتاب حين يقال: ﴿**هاؤم اقرأوا كتبيه**﴾ (الحـاقة: ١٩) حتى يعلم أين يقـع كتابـه أفي يمينه أم في شمـاله أم من وراء ظهـره. مختصر السنن للمنذري ١٤٦/٧.

(٢) يشقا.

(٣) نادا.

(٤) روس.

(٥) في الهامش.

(٦) يقربونك.

باسمك أن تعرفك لما ترى بك[1] أنك المراد بالدعاء المطلوب ـ قال حدثنا طلحة بن عمرو قال: قال لي عطاء بن أبي رباح: «يا طلحة ما أكثر الأسماء على اسمك وما أكثر الأسماء على اسمي»، فاذا كان يوم القيامة قيل يا فلان فقام الذي يعني لا يقوم غيره لما لزم قلبك من العلم ـ فوثبت على[2] قدميك ترتعد فرائصك وتضطرب جوارحك متغير لونك فزع مرعوب مرتكض قلبك في صدرك بالخفقان، فلما عاينتك الملائكة الموكلون بأخذك قد حل[3] بك الاضطراب بالارتعاد[4] والمخافة علمت أنك أنت [5] المراد من العباد فأهوت اليك بأيديها فقبضت عليك بعنفها ثم جذبتك إلى ربك عز وجل كما تجذب الدواب المنقادة تتخطى [6] بك الصفوف محثوثاً إلى العرض على الله عز وجل والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق اليك أبصارهم وأنت مجبوذ إلى ربك عز وجل فيما بينهم.

فتوهم حين وقفت بالاضطراب والارتعاد يرعد قلبك، وتوهم مباشرة أيديهم على عضديك وغلظ أكفهم حين أخذوك، فتوهم نفسك محثوثة في أيديهم وتوهم تخطيك الصفوف، طائر فؤادك متخلع قلبك، فتوهم نفسك في أيديهم كذلك حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فقذفوا بك من أيديهم، وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه: أذن مني يا ابن آدم فغيبك في نوره، فوقفت بين يدي رب عظيم جليل كبير كريم بقلب خافق محزون، وجل مرعوب، وطرف خائف، خاشع ذليل، ولون متغير، وجوارح مرتعدة مضطربة، كالحمل الصغير حين تلده أمه، ترتعد بيدك صحيفة محبرة لا تغادر بلية كسبتها ولا مخبأة اسررتها، فقرأت ما فيها بلسان كليل وحجة داحضة وقلب منكسر، فكم لك من حض وخجل

---

(١) يرابك.

(٢) كذا في الهامش، وفي الأصل: بك لك

(٣) فوق.

(٤) بالاردعاد.

(٥) في الهامش.

(٦) تتخطا.

وجبن من المولى الذي لم يزل اليك محسناً، وعليك ساترا[1] فبأي لسان تجيبه حين يسألك عن قبيح فعلك، وعظيم جرمك، وبأي قدم تقف غداً بين يديـه، وبأي نظر تنظر اليه، وبأي قلب تحتمل كلامه العظيم الجليل ومساءلته وتوبيخه؟ فتوهم نفسك بصغر جسمك، وارتعاد جوارحك، وخفقان قلبـك، وقد سمعت كلامه بتذكير ذنوبك، واظهار مساوئك، وتوقيفـك وتقريـرك بمخبآتـك، فتوهم نفسك بهذه الهيئة والأهوال بك محدقة من خلفك، فكم من بلية قد[2] نسيتها، قـد ذكركهـا، وكم من سـريـرة قـد كنت كتمتهـا قـد أظهـرهـا وأبـداهـا، وكم من عمل قد ظننت أنه قد خلص لك وسلم بـالغفلة منك إلى ميـل الهوى عمـا يفسده قد رده في ذلك الموقف عليك وأحبطه، بعد ما كان تأملك فيه عظيماً، فياحسرات قلبك وتأسفك على ما فرطت في طاعة ربك، حتى اذا كـرر عليك السؤال بذكر كل بلية ونشر كل مخبأة فأجهدك الكرب، وبلغ منك الحياء منتهاه لأنه الملك الأعلى[3] فلا حياء يكون من أحد أعظم من الحياء منه لأنه القديم الأول الباقي الذي ليس لـه مثل، المحسن المتعـطف المتحنن الكريم الجـواد المنعم المتطول، فما ظنك بسؤال من هو هكذا أبان عن مخـالفتك ايـاه، وقلة هيبتك له، وحيائك منه، ومبارزتك له، فمـا ظنك بتـذكيره ايـاك مخالفتـه وقلة اكتراثك في الدنيا بالطاقة[4] عليك ونظرك اليه، اذ يقول: يا عبدى أما أجللتني أما استحييت مني، أستخففت بنظري اليك، ألم أحسن اليك، ألم أنعم عليك، ما غرك مني، شبابك فيم أبليته، وعمرك فيم أفنيتـه، ومالـك من أين اكتسبته، وفيم أنفقتـه، وعملك ماذا عملت فيـه؟ ـ قال: قـال رسول الله ﷺ: «**مـا منك من أحد إلا سيسأله رب العالمين، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان**»[5].

---

(١) ساتر.

(٢) فوق.

(٣) الأعلا.

(٤) بالطاقة.

(٥) أورده العجلوني بلفظ مقـارب ولم يعلق عليه بشيء، وأورده الغـزالي في الاحيـاء من قـول مجاهد، وفي ابن ماجه حديث رقم ١٨٤٣ بلفظ مختلف.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**فوربك لنسئلنهم أجمعين. عما كانوا يعملون**﴾ (الحجر: ٩٢، ٩٣)، أورد ابن كثير أثراً عن ابن مسعود يقارب معنى الحديث.

قال: سمعت عدي بن حاتم قال: شهدت رسول الله ﷺ في حديث له: «**ليقفن أحدكم بين يدي الله تبارك وتعالى ليس بينه وبينه حجاب ولا بينه وبينه ترجمان يترجم عنه فيقول: ألم أوتك مالا؟ فيقولن: بلى، فيقول: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فيقولن: بلى، ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتق آلام النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة**»[1]. قال: سمعت عبد الله بن مسعود بدأ باليمين قبل الحديث، فقال: «ما منكم من أحد الا سيخلو[2] الله عز وجل به، كما يخلو[3] أحدكم بالقمر ليلة البدر (أو قال للكلمة)، ثم يقول: يا ابن آدم ما غرك بي، يا ابن آدم ما عملت فيما علمت، يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟» عن ابن مسعود أنه بدأ باليمين، فقال: والله ما منكم من أحد الا سيخلو[4] به الله عز وجل كما يخلو[3] أحدكم بالقمر يراه ثم يقول: يا ابن آدم ما غرك بي، يا ابن آدم ما عملت لي، يا ابن آدم ما استحييت مني، يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين، يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينيك[5] وأنت تنظر بهما إلى ما لا يحل لك، ألم أكن رقيباً على أذنيك وأنت تستمع بهما[6] إلى ما لا يحل لك، ألم أكن رقيباً على لسانك وأنت تنطق بما لا يحل لك، ألم أكن رقيباً على يديك وأنت تبطش بهما إلى ما لا يحل لك، ألم أكن رقيباً على رجليك وأنت تمشي بهما إلى ما لا يحل لك، ألم أكن رقيباً على قلبك وأنت تهم بما لا يحل لك، أم أنكرت قربي منك وقدرتي عليك وأنت يا ابن آدم بين خطرين عظيمين: أما أن يتلاقاك برحمته ويتطول عليك بجوده،

---

(1) فتح الباري ٢٨١/٣، احياء علوم الدين: ٢٩٦٦.
عن عدي بن حاتم وأوله: كنت عند رسول الله ﷺ فجاءه رجلان.. الخ الحديث.
(2) سيخلوا.
(3) يخلوا.
(4) سيخلوا.
(5) عينك.
(6) ناقص في الأصل.

واما أن يناقشك الحساب، فيأمر بـك إلى الهاويـة وبئس المصير. عن مجـاهد قال: «لا يزول قدم عبد يوم القيامة من بين يدي الله عـز وجل حتى يسـأله عن أربع خصال: عن عمـره فيم أفناه، وعن عمله مـا عمل فيـه، وعن جسده فيم أبلاه، وعم ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه» فما ظنـك بنفسك وضعف قلبـك، والله عز وجل يكرر عليك ذكر احسانه اليك، ومخالفتك له، وقلة حيائك[1] منه، فأعظم به موقفاً وأعظم به من سائل لا تخفى عليه خافية، وأعظم بما يـداخلك من الحزن والغم والتأسف على ما فرطت في طاعته وركوبك معصيته، فاذا تبالغ فيك الجهد من الغم والحزن والحياء بدا لك[2] منه أحد الأمـرين: الغضب أو الرضا عنك والحب لك. فاما أن يقول: يا عبدي أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فقد غفرت لك كبير جرمك وكثير سيئاتك، تقبلت منك يسير احسانك، فيستطير بالسرور والفرح قلبك فيشرق لذلك وجهك، فتوهـم نفسك حين قالها لك، فـابتدأ اشراق السرور ونوره في وجهك بعد كآبته وتكسفـه من الحياء من السؤال والحصر من ذكر مساوىء فعلك، فاستبدلت بالكآبة والحزن سروراً في قلبك، فأسفر وجهك وابيض لونك، فتوهـم رضاه عنك حين سمعته منه، فثار في قلبك، فامتلأ سروراً وكدت أن تموت فرحاً وتطير سروراً، ويحق لك، فأي سرور أعظم من السرور والفرح برضا الله عز وجل، فوالله تعالى لـو أنك مت فرحاً في الدنيا حين توهم رضاه في الآخرة لكنت بـذلك حـرياً، وان كنت لم تستيقن برضاه في الآخرة، ولكن آملاً لذلك، فكيف بك مستيقناً له في الآخرة، ولو توهمت نفسك، وقد بدا لك منه الرحمة والمغفـرة كنت حقيقاً أن تطير روحك من بدنك فرحاً، فكيف ان لو قد سمعت من الله عز وجل الرضا عنه والمغفرة لك فأمن خوفك وسكن حذرك، وتحقق أملك ورجـاؤك بخلود الأبد،

---

(١) حياك.

(٢) كذا في الهامش وفي الأصل: بدلك.

وأيقنت بفـوزك ونعيمك أبـداً لا[1] يفنى[2] ولا يبيد بغيـر تنقيص ولا تكذيب، فتوهم نفسك بين يدي الله عز وجل، وقد بدا لك منه الرضا، وطار قلبك فرحاً، وابيض وجهك، وأشرق وأنار وأحال عن خلقته، فصار كأنه القمر ليل البدر، ثم خرجت على الخلائق مسروراً بوجه محبور قد حل به أكمل الجمال والحسن، يسطع نوراً مشرقاً بتلألائه تتخـطاهم بالجمـال والحسن والنور والضيـاء كتابـك بيمينك، أخذ بضبعيك ملك ينادي على رؤوس[3] الخلائق: هذا فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى[4] بعدها أبداً، لقد شهرك ربك عز وجل بالرضا عنك عند خلقه، ولقد حقق حسن ظن الـظانين وأبطل تهم المتهمين لـك، وان في هذه المنزلة غدا على رؤوس الخلائق لعوضاً من المنزلة عند العباد بطاعته والتصنع لهم زهداً في المنزلـة عندهم، والتعـظيم عندهم بـطاعة ربـه عز وجـل بصدق معـاملته وحـده لا شريـك له، عـوضك المنـزلة الكبـرى على رؤوس الخلائق فشهرك برضاه عنك وموالاته ايـاك، فتوهم نفسـك وأنت تتخطى[5] الخـلائق، وكتابك في يمينك بجمال وجهك ونوره، وفرح قلبك وسـروره، وقد شخصت أبصارهم اليك غيظة لك وتأسفاً على أن ينالوا من الله عز وجل ما نلت، فليعظم من الله عز وجل في طلب ذلك أملك ورجاؤك فانه عز وجل ان تفضل عليك نلت ذلك، فهذا أحد الأمرين الذي أنت بينهما على خـطر ـ عن صفوان بن محـرز قال: كنت آخذاً بيد عبد الله بن عمر، فأتاه رجل، فقـال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ان الله عز وجل يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس، فيقول: يا عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم يا رب، ثم يقول: يا عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قـال: اني قد سترتها**

---

(١) ألا.
(٢) يفنا.
(٣) روس.
(٤) يشقا.
(٥) تتخطا.

عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى[1] كتاب حسناته»[2]، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظلمين﴾[3]. قال: بينا عبد الله بن عمر يطوف بالبيت اذ عارضه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فذكر مثله. قال سعيد: قال قتادة: فلم يحزن يومئذ أحد فخفى حزنه على أحد من الخلائق. عن ابن مسعود أنه قال: «ينشر الله عز وجل كنفه يوم القيامة على عبده المؤمن، ويبسط كفه لظهرها، فيقول: يا ابن آدم هذه حسنة قد عملتها في يوم كذا وكذا قد[4] قبلتها، وهذه خطية قد عملتها في يوم كذا وكذا قد غفرتها لك فيسجد، فيقول الناس: طوبى[5] لهذا العبد الصالح الذي لم يجد في صحيفته الا حسنة» (أو قال: في كتابه). عن عبد الله بن حنظلة قال: «ان الله عز وجل يقف عبده يوم القيامة فيبدي[6] حسناته في ظهر صحيفته فيقول له: أنت عملت هذا، فيقول: نعم أي رب، فيقول: اني لم أفضحك به اليوم واني قد غفرت لك اليوم، فيقول عندها: هلموا[7] اقرأوا[8] كتابيه، ﴿اني ظننت أني ملٰق حسابيه﴾، حين نجا من فضيحة يوم القيامة». وأما الأمر الآخر فاما أن يقول لك: عبدي أنا غضبان عليك فعليك لعنتي، فلن أغفر لك عظيم ما آتيت، ولن أتقبل منك ما عملت، فيقول لك في ذلك عند بعض ذنوبك العظيمة (أن يقول لك): أتعرفها؟ فتقول: نعم وعزتك، فيغضب عليك فيقول[9]: وعزتي لا تذهب بها منى، فنادى

---

(١) يعطا.

(٢) رواه أحمد في مسنده ومسلم والبخاري والنسائي وابن ماجه كلهم عن ابن عمر، وهو عند البخاري من رواية قتادة عن صفوان بن محرز المازني: جليل فاضل ورع. فتح الباري ٩٦/٥، فيض القدير ٣٠١/٢، طبقات الحفاظ للسيوطي ٢١.

(٣) هود: ١٨.

(٤) في الهامش.

(٥) طوبا.

(٦) فيبدأ.

(٧) هلوم.

(٨) اقروا ـ والآية من سورة الحاقة: ٢٠.

(٩) في الهامش.

الزبانية فيقول: خـذوه، فما ظنـك بالله عـز وجل يقـولها بعـظيم كلامـه وهيبته وجلاله. فتـوهم ان لـم يعف عنك، وقـد سمعتها من الله عـز وجل بـالغضب، وأسند اليك الزبانية بغضاضتها وغلظ أكفها مستدفرة بـأزمة من النيـران غضابـاً لغضب[1] الله عز وجل بالعنف عليك والغلظ والتشديد، فلم تشعر حين قالها الا ومجسـة غلظ أكفهم في قفاك وعنقـك، فتـوهم غلظ أكفهم حين قبضـوا على عنقك بالعنف يتقربون إلى الله عز وجل بعذابك وهوانك. فتوهم نفسك مستجذباً ذليلاً موقنا بالهلاك وأنت في أيديهم وهم ذاهبـون بك إلى النـار مسود وجهـك تتخـطى الخلائق بسـواد وجهك وكتـابك في شمـالك تنـادي بالـويل والثبـور، والملك آخذ بضبيعك ينـادي: هذا فـلان ابن فلان شقي شقـاء لا يسعد بعـده أبداً. لقد شهرك بالغضب والسخط عليك، ولقد تمت فضيحتـك عند خلقـه، فأخلف حسن ظن الظانين بك، وحقق تهم المتهمين لك، ولعله ان فعل ذلك بك فعله بتصنعك لطاعته عند عباده بطلب المنزلة عندهم بسقوط المنزلة والجاه عنده، ففضحك عند من آثرته عليه في المعـاملة، ورضيت بحمده على طـاعة ربك عز وجل عوضاً من حمده اياك تبارك وتعالى.

فتوهم ذلك ثم توهمه واذكر هذا الخـطر، وكن مفكراً حـذراً أي الأمرين يرتفع بك وأي الأمرين قد أعد لك ـ عن كعب قال: ان الرجل ليؤمر به إلى النار فيبتدره مائة ألف ملك. قال أبو عبد الله: وقد بلغني أنه اذا وقف العبد بين يدي الله عز وجل فطال وقوفه، تقول الملائكة: مالك من عبد عليك لعنـة الله أبكل هذا بارزت الله عز وجل وقد كنت تظهر في الدنيا علانية حسنة؟ قال: أبو عبـد الله ولقد بلغني أيضاً أنه اذا حوسب فوبخ بكثرة أعماله الخبيثة، تقول: الملائكة مالك من آدمي عليك لعنة الله، أبكل هذا[2] بـارزت الله عز وجـل، وقد كنت تظهر الحسن في الدنيا؟ قال: من تحبب إلى الناس بما لا يحب الله عز وجل،

(١) بالغضب.
(٢) هذا زائد.

وبارز الله عز وجل بما يكره لقي الله عز وجل وهو عليه ساخط وله ماقت، ثم قال أبو عبد الله[1] وهو يحدث: والله عز وجل ما أمسيت آسفاً علي وعليكم - ومع ذلك الجسر بدقته وزلله وهـوله وعظيم خطره قدامك.

فتوهم ما حل من الوجل بفؤادك حين رفعت طرفك فنظرت اليه مضروباً على جهنم بدقته ودحوضه، وجهنم تخفق بأمواجها من تحته، فيا له من منظر ما أفظعه وأهوله، وقد علمت أنك راكب فوقه وأنت تنظر إلى سواد جهنم من تحته، وتسمع قصيف أمواجها وجلبة ثورانها من أسفلها، والملائكة تنادي[2]: ربنا من تريد أن تجيزه على هذا؟ وتنادي[3]: ربنا ربنا سلم سلم، فبينا أنت تنظر اليه بفظاعة منظره اذ نودي مروا الساهرة، فلم تشعر الا وقد رفعت الأرض من تحتك وتحت الخلائق لأن تبدل، ثم بدلت بأرض من فضة فاذا الخلائق منثورون على أرض من فضة بيضاء[4]، ثم قيل لك وأنت تنظر إلى الجسر بفظاظته وقيل للخلق معك: اركبوا الجسر فتوهم خفقان فؤادك وفزعه، وقد قيل لك اركب الجسر، فطار عقلك رعباً وفزعاً، ثم رفعت أحد قدميك لتركبه فوجدت بباطن قدميك حدته ودقته فطار قلبك فزعاً، ثم ثنيت الأخرى فاستويت عليه راكباً وقد أثقلتك أوزارك وأنت حاملها على ظهرك، ثم صاعدت عليه بطيران قلبك حتى بلغت ذروته والخلائق من بين يديك ومن ورائك[5] عرفاً واحداً فصاعدت عليه بطيران قلبك حتى بلغت ذروته، ثم انحدرت باضطرابه بك والخلائق عليه عرف واحد يضطرب بهم خفقان جهنم تحته، فتهافت الناس من بين يديك ومن ورائك، فتوهم صعودك بضعفك عليه، وقد نظرت الى الزالين والزالات من بين يديك ومن خلفك وقد تنكست هاماتهم وارتفعت على الصراط أرجلهم وأخذت الملائكة بلحى[6] الرجال وذوائب النساء من الموحدين اذ الأغلال في أعناقهم،

---

(١) أيوب.

(٢-٣) في الهامش.

(٤) في الهامش.

(٥) ولايك.

(٦) بلحا.

وثارت النار بطلبتها وفارت وشهقت على هاماتهم، ورمتهم الملائكة بالكلاليب فجذبتهم وثارت اليهم النار بطلبتها وحريقها، وزفرت[1] وشهقت على هاماتهم وبادرت شرر النار إلى هاماتهم فتناولتها ثم جذبت هاماتهم إلى جوفها، وهم ينادون ويصرخون وقد أيسوا من أنفسهم، وهم لاجتذاب النار لهاماتهم فيها ينحدرون وهم بالويل ينادون، وأنت تنظر اليهم مرعوب خائف أن تتبعهم فتزل قدمك فتهوى[2] من الجسر وتنكسر قامتك وترتفع على الصراط رجلاك.

فتوهم ذلك بعقل فارغ وشفقة على ضعف بدنك مخفف في الدنيا للمرور عليه، فان أهوال القيامة انما تخففت على أولياء الله عز وجل الذين توهموها[3] في الدنيا[3] بعقولهم فعظم خطر النجاة عندهم، فتحملوا من ثقل همومها في الدنيا على قلوبهم وحرقة خوفها على ضرورتهم فخففها في القيامة بذلك عليهم مولاهم، فألزم قلبك توهمها والخوف منها والغم بها لأن يخففها عليك بذلك ويهونها لأنه آلى على نفسه ألا يجمع على أوليائه الخوف في الدنيا والآخرة.

فتوهم ممرك على الجسر بشدة الخوف وضعف البدن، وان يكن مغضوباً عليك غير معفى[4] عنك، ولم تشعر الا وقد زلت[5] قدمك عن الصراط، فتوهم[5] نفسك ان لم يعف عنك أن زلت رجلك عن الصراط فقلت في نفسك مع ذلك ذهبت أبداً هذا الذي كنت أحاذر وأخاف، وطار عقلك، ثم زلت الأخرى فتنكست هامتك، وارتفعت عن الصراط رجلاك فلم تشعر الا والكلوب قد دخل في جلدك ولحمك، فجذبت به وبادرت اليك النار ثائرة غضبانة لغضب مولاها، فهي تجذبك وأنت تهوي من الجسر وتنادي حين وجدت مس نفحها: ويلي ويلي، وقد غلب على قلبك الندم والتأسف الا كنت أرضيت الله عز

---

(١) ورفرت.

(٢) فتهوا.

(٣ ـ ٣) في الهامش.

(٤) معفا.

(٥ ـ ٥) في الهامش.

وجل، فرضى عنك وأقلعت عما يكره قبل أن تموت، فغفر لك، حتى اذا صرت في خوفها التحمت عليك بحريقها، وقلبك قد بلغ غاية حرقته ومضيضه، فتورمت في أول ما ألقيت فيها، ونادى[1] الله عز وجل النار وأنت مكبوب على وجهك تنادي بالويل والثبور، فناداها: ﴿هل امتلأت﴾[2]؟فسمعت نداءه وسمعت اجابتها له: ﴿هل من مزيد﴾[3]؟ يقول هل من سعة وأنت في قعرها، وهي تتلهب في بدنك، لها قصيف في جسدك، ثم لم تلبث أن تقطر بدنك وتساقط لحمك، وبقيت عظامك، ثم أطلقت النار على ما في جوفك فأكلت ما فيه، فتوهم كبدك والنار تداخل فيها وأنت تنادي فلا ترحم، وتبكي وتعطي الندم، ان رددت ألا تعود، فلا تقبل توبتك، ولا يجاب نداؤك[4].

فتوهم نفسك وقد طال فيها مكثك وألح العذاب، فبلغت غاية الكرب، واشتد بك العطش فذكرت الشراب في الدنيا، ففزعت الى الجحيم، فتناولت الاناء من يد الخازن الموكل بعذابك، فلما أخذته نشت كفك من تحته، وتفسخت لحرارته، وهيج حريقه، ثم قربته إلى فيك فشوى وجهك، ثم تجرعته فسلخ حلقك، ثم وصل إلى جوفك فقطع أمعاءك، فناديت بالويل والثبور، وذكرت شراب الدنيا وبرده ولذته، ثم أقلعت[5] الحريق، فبادرت إلى حياط الحميم لتبرد بها، كما تعودت في الدنيا الاغتسال والانغماس في الماء اذا اشتد عليك الحر فلما اغتمست في الحميم تسلخ من قرنك إلى قدمك، فبادرت إلى النار رجاء أن تكون هي أهون عليك، ثم اشتد عليك حريق النار فرجعت إلى الحميم وأنت تطوف بينها وبين حميم آن، وهو الذي قد انتهى حره، وتطلب الروح فلا روح بين الحميم وبين النار، تطلب الروح فلا روح أبداً. فلما اشتد

---

(١) ونادا.
(٢) املات.
(٣) سورة ق: ٣٠.
(٤) نداك.
(٥) أقلقت.

بك الكرب والعطش وبلغ منك المجهود ذكرت الجنان فهاجت غصة من فؤادك إلى حلقك أسفا على جوار الله عز وجل، وحزناً على نعيم الجنة، ثم ذكرت شرابها وبرد مائها وطيب عيشها، فتقطع قلبك حسرة لحرمان ذلك، ثم ذكرت أن فيها[1] بعض القرابة من أب أو أم أو أخ، وغيرهم من القرابة فناديتهم بصوت محزون من قلب محترق قلق: يا أماه أو يا أبتاه أو يا أخاه أو يا خالاه أو يا عماه أو يا أختى شربة من ماء، فأجابوك بالخيبة فتقطع قلبك حسرة[2] بما خيبوا من أملك، وبما رأيت من غضبهم عليك لغضب ربك عز وجل، ففزعت إلى الله بالنداء بالمرجع والعتبى أن يردك إلى الدنيا، فمكث عنك دهراً طويلاً لا يجيبك هوانا بك وان صوتك عنده ممقوت، وجاهك عنده ساقط، ثم ناداك بالخيبة منه أن ﴿اخسؤا[3] فيها ولا تكلمون﴾[4]. فلما سمعت نداءه بجلال كلامه بالتخسية لك ابتداء فمثلك (؟) لا تجاب ومناخرك وفيك ملجومة[5] بلجام، فبقي نفسك متردداً في جوفك لا مخرج له فضاقت نفسك في صدرك وبقيت قلقاً تزفر لا تطيق الكلام ولا يخرج منك[6] نفس، ثم أراد أن يزيدك اياساً وحسرة، فأطبق أبواب النار عليك وعلى أعدائه فيها. فما ظنك ان لم يعف عنك، وقد سمعت رجوف بابها قد أغلق؟ فيا اياسك ويا اياس سكان جهنم حين سمعوا وقع أبوابها تطبق عليهم فعلموا عند ذلك أن الله عز وجل انما أطبقها لئلاً يخرج منها أحداً أبداً، فتقطعت قلوبهم اياساً وانقطع الرجاء منهم ألا فرج أبداً ولا مخرج منها ولا محيص لهم من عذاب الله عز وجل أبداً خلود فلا موت، وعذاب لا زوال له عن أبدانهم، ودوام حرق قلوبهم ومضيضها، فلا روح ولا راحة تعلق بهم أبداً، أحزان لا تنقضي، وغموم لا تنفد، وسقم لا يبرأ، وقيود لا تحل، وأغلال لا

(١) فيهم.
(٢) حسرات.
(٣) أحسا.
(٤) المؤمنون: ١٠٨.
(٥) ملجومين.
(٦) في الهامش.

تفك أبداً، وعطش لا يروون بعده أبداً، وكرب لا يهدأ أبداً، وجوع لا يشبعون بعده أبداً الا بالزقوم ينشب في حلوقهم فيستغيثون بالشراب ليسوغوا به غصصهم فيقطع أمعاءهم، وحسرة فوت رضوان الله عز وجل في قلوبهم، وكمد حرمان جوار الله عز وجل يتردد[1] في صدورهم، لا يرحم بكاؤهم، ولا يجاب دعاؤهم، ولا يغاثون[2] عند تضرعهم، ولا تقبل توبتهم، ولا تقال عثرتهم غضب الله عز وجل عليهم فلا يرضى عنهم أبداً، اذ أبغضهم ومقتهم، وسقطوا من عينه، وهانوا عليه فأعرض عنهم. فلو رأيتهم وقد عطشوا وجاعوا فنادوا من أهل الجنة الأقرباء فقالوا جميعاً: يا أهل الجنة يا معشر الآباء والأمهات والأخوة والأخوات خرجنا من قبورنا عطاشاً وأوقعنا بين يدي الله عز وجل عطاشاً، وأمر بنا إلى النار عطاشاً، أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، فأجابوهم بالتخسية فتراجع في قلوبهم الحسرة والندامة فهم فيها يتقلقون لا ينفح وجوههم[3] روح أبداً، ولا يذوقون منها بارداً أبداً ولا يطبقون جفونهم على غمض نوم أبداً، فهم في عذاب دائم وهوان لا ينقطع، فمثل نفسك بهذا الوصف ان لم يعف عنك. فلو رأيت المعذبين في خلقهم وقد أكلت النار لحومهم ومحت محاسن وجوههم واندرس تخطيطهم، فبقيت العظام مواصلة محترقة مسودة وقد قلقوا واضطربوا في قيودهم وأغلالهم وهم ينادون بالويل والثبور، ويصرخون بالبكاء والعويل، اذن لذاب قلبك فزعاً من سوء خلقهم وتضعفت من رائحة نتنهم ولما بقى روحك في بدنك من شدة وهج أبدانهم وحرارة أنفاسهم. فكيف بك أن نظرت الى نفسك فيها وأنت أحدهم، وقد زال من قلبك الأمل والرجاء ولزمه القنوط والاياس وعطفت على بدنك فتقحمت على الحدقتين فسمعت تفضيضهما نتقاماً وبدلاً من نظرك إلى مالا يحب ولا

---

(١) يترد.

(٢) يغانوا.

(٣) وجوهم.

يرضى، ودخلت النار في مسامعك فتسمع لها فيه قصيفاً وجبلة، والتحفت عليك فنفضت منك العظام ودوبت اللحام، واطلعت إلى الجوف فأكلت الكبد والأحشاء فغلبت على قلبك الحسرة[١] والندامة والتأسف.

فتوهم ذلك بعقل فارغ، وقد هاجت منه رحمة لضعفك وارجع عما يكره مولاك[٢] وترضى عسى أن يرضى عنك وأعذ به بعقلك واستقله يقللك عثرانك، وابك من خشيته عسى أن يرحمك ويقيل عثراتك، فان الخطر عظيم وان البدن ضعيف والموت منك قريب، والله جل جلاله مع ذلك مطلع يراك، وناظر لا يخفى[٣] عليه منك سر ولا علانية، فاحذر نظره[٤] بالمقت والبغضة والغضب والقلاء، وأنت لا تشعر فرحاً أو قرير العين، فاحذر الله عز وجل وخفه واستحي منه وأجله، ولا تستخف بنظره ولا تتهاون باطلاعه، وأجل مقامه عليك وعلمه بك وافرقه واخشه قبل أن يأخذك بغتة، ولير أثر مصيبة مخالفتك له ليعلم ما قد بلغ اليك خلافه، فان علم ذلك منك صفح عنك وعفى عنك، فلا تتعرض لله عز وجل فانه لا طاقة لك بغضبه ولا قوة لعذابه، ولا صبر لك على عقابه، ولا صبر عندك عن جواره فتدارك نفسك قبل لقائه، فكأنك بالموت قد نزل بك بغتة، الموت فكأن قد نزل[٥]... فتوهم ما وصفت لك فانما وصفت بعض الجمل، فتوهم ذلك بعقل فارغ موقن عارف بما قد جنيت على نفسك وما استوجبت بجنايتك، وفكر في مصيبتك في دينك، ولير الله عز وجل عليك أثر المصيبة لعله أن يرحمك فيتجاوز عنك لمغفرته وعصمته، فان كنت من أهل العفو والتجاوز فتوهم ان تفضل الله عز وجل عليك بالعفو والتجاوز ممرك على الصراط ونورك معك يسعى بين يديك وعن يمينك وكتابك بيمينك مبيض وجهك

---

(١) الحسرات.
(٢) في الهامش.
(٣) يخفا.
(٤) في الهامش.
(٥) ناقص في الأصل.

وقد فصلت من بين بدي الله عز وجل، وأيقنت برضاه عنك وأنت على الصراط مع زمر العابدين ووفود المتقين، والملائكة تنادي سلم سلم، والوجل مع ذلك لا يفارق قلبك ولا قلوب المؤمنين، تنادي وينادون: ﴿**ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا، انك على كل شيء قدير**﴾[1]، فتدبر حين رأوا المنافقين طفيء نورهم وهاج الوجل في قلوبهم فدعوا بتمام النور والمغفرة.

فتوهم نفسك وأنت تمر خفيفاً مع الوجل، فتوهم ممرك على قدر خفة أوزارك وثقلها، فتوهم نفسك وقد انتهيت إلى آخره فغلب على قلبك النجاة وعلا عليك الشفق، وقد عاينت نعيم الجنان وأنت على الصراط، فحق قلبك على جوار الله عز وجل واشتاق إلى رضا الله حتى اذا صرت إلى آخره خطوت بأحد رجليك إلى العرصة التي بين آخر الجسر وبين باب الجنة فوضعتها على العرصة التي بعد الصراط، وبقيت القدم الأخرى على الصراط، والخوف والرجاء قد اعتليا في قلبك وغلبا عليك، ثم ثنيت بالأخرى فجزت الصراط كله واستقرت قدماك على تلك العرصة، وزلت عن الجسر ببدنك، وخلفته وراء ظهرك، وجهنم تضطرب من تحت من يمر عليها، وتثب على من زل عنه مغتاظة تزفر عليه وتشهق اليه، ثم التفت إلى الجسر فنظرت اليه باضطرابه ونظرت إلى الخلائق من فوقه وإلى جهنم من تحته تثب وتزفر على الذين زلزلوا عن الصراط لها في رؤوسهم[2] وأنجاثهم قصيف، فطار قلبك فرحاً اذ رأيت عظيم ما نجاك الله منه، فحمدت الله وازددت له شكراً اذ نجوت بضعفك من النار وخلفت النار وجسرها من وراء ظهرك متوجهاً إلى جوار ربك، ثم خطوات آمناً إلى باب الجنة قد امتلأ قلبك[3] سروراً وفرحاً، فلا تزال في ممرك بالفرح والسرور حتى توافي أبوابها[4]، فاذا وافيت بابها[4] استقبلك بحسنه فنظرت إلى حسنه ونوره وحسن

---

(١) التحريم: ٨.

(٢) روسهم.

(٣) ناقص في الأصل.

(٤ - ٤) في الهامش.

صورة الجنة وجدرانها، وقلبك مستطير فرح مسرور متعلق بدخول الجنة حين وافيت بابها أنت وأولياء الرحمن. فتوهم نفسك في ذلك الموكب وهم أهل كرامة الله ورضوانه مبيضة وجوههم مشرقة برضا الله مسرورون فرحون مستبشرون، وقد وافيت باب الجنة بغبار قبرك، وحر المقام ووهج تعب[1] ما مر بك، فنظرت إلى العين التي[2] أعدها الله لأوليائه والى حسن مائها، فانغمست فيها مسروراً لما وجدت من برد مائها وطيبه، فوجدت له برداً وطيباً، فذهب عنك بحزن المقام وطهرك من كل دنس وغبار وأنت مسرور لما وجدت من طيب مائها لما باشرته وقد أفلت من وهج الصراط وحره لأنه قد يوافي بابها من أحرقت النار بعض جسده بلفحها وقد بلغت منه، فما ظنك وقد انفلت من حر المقام ووهج أنفاس الخلائق، ومن شدة توهج حر الصراط فوافيت باب الجنة بذلك، فلما نظرت إلى العين قذفت بنفسك فيها، فتوهم فرحة فؤادك لما باشر برد مائها بدنك بعد حر الصراط ووهج القيامة وأنت فرح لمعرفتك أنك إنما تغتسل لتتطهر لدخول الجنة والخلود فيها فأنت تغتسل منها دائباً ولونك[3] متغير حسناً وجسدك يزداد نضرة وبهجة ونعيماً، ثم تخرج منها في أحسن الصور وأتم النور، فتوهم فرح قلبك حين خرجت منها فنظرت إلى كمال جمالك ونضارة وجهك وحسنه وأنت عالم موقن بأنك تتنظف للدخول إلى جوار ربك. ثم تقصد إلى العين الأخرى فتناول من بعض آنيتها، فتوهم نظرك إلى حسن الاناء وإلى حسن الشراب وأنت مسرور بمعرفتك أنك انما تشرب هذا الشراب لتطهر جوفك من كل غل وجسدك ناعم أبداً، حتى اذا وضعت الإناء على فيك ثم شربته وجدت طعم شراب لم تذق مثله ولم تعود شربه فيسلس من فيك إلى جوفك فطار قلبك سروراً لما وجدت من لذته، ثم نقى جوفك من كل آفة، فوجدت لذة طهارة صدرك من كل طبع كان فيه ينازعه إلى

---

(١) في الهامش.

(٢) الذي.

(٣) ولونك.

الغموم والهموم والحرص والشدة والغضب والغل، فيا برد طهارة صدرك، ويا روح ذلك على فؤادك، حتى اذا استكملت طهارة القلب والبدن واستكمل أحباء الله عز وجل ذلك معك، والله مطلع يراك ويراهم، أمر مولاك الجواد المتحنن خزان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين خائفين منه مشفقين وجلين من عقابه اعظاماً له واجلالا وهيبة له وحذرا من نقمة، وأمرهم أن يفتحوا باب جنته لاوليائه فانحدروا من دارها وبادروا من ساحاتها وأتوا باب الجنة فمدوا أيديهم ليفتحوا أبوابها، وأيقنت بذلك فطار قلبك سروراً وامتلأت فرحاً وسمعت حسن صرير أبوابها فعلاك السرور وغلب على فؤادك، فيا سرور قلوب المفتوح لهم باب جنة رب العالمين، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جرى مائها فنفح وجهك وجميع بدنك وثارت أراييح الجنة العبقة الطيبة وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها المونع وكافورها الأصفر وعنبرها الاشهب وأرياح طيب ثمارها وأشجارها وما فيها من نسيمها، فتداخلت تلك الأراييح في مشامك حتى وصلت إلى دماغك وصار طيبها في قلبك وفاض من جميع جوارحك، ونظرت بعينك إلى جسن قصورها وتأسيس بنيانها من طرائق الجندل الأخضر[1] من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد سطح منه نوره وبهاؤه وصفاؤه، فقد أكمله الله في الصفاء والنور ومازجه نور ما[2] في الجنان، ونظرت إلى حجب الله وفرح فؤادك لمعرفتك أنك إذا دخلتها فان لك فيها الزيادات والنظر إلى وجه ربك، فاجتمع طيب[3] أراييح الجنة وحسن بهجة[4] منظرها وطيب[4] نسيمها وبرد جوها وذلك أول روح وطيب لا تنفيض فيه نفح وجهك.

فتوهم نفسك مسروراً بالدخول لعلمك أنها يفتح بابها لك والذين معك أولياء الله وفرحك بما تنظر اليه من حسن بهجتها وما وصل إلى فؤادك من طيب رائحتها وما باشر وجهك وبدنك من طيب جوها وبرد نسيمها. فتوهم نفسك أن

---

(١) الأحمر.
(٢) نورما.
(٣) في الهامش.
(٤ - ٤) منظر طيب.

تفضل الله عليك بهذه الهيئة فلو مت فرحاً لكـان ذلك يحق لـك حتى اذا فتحوا بـابها أقبلوا عليـك ضاحكين في وجهـك ووجـوه أوليـاء الله معـك، ثم رفعـوا أصـواتهم يحلفون بعـزه ما ضحكنـا قط منذ خلقنـا الا اليكم، ونادوكم سـلام عليكم، فتوهم حسن نغماتهم وطيب كلامهم وحسن تسليمهم في كمال صورهم وشدة نورهم، ثم أتبعوا السلام بقولهم: ﴿**طبتم فادخلوها خـلدين**﴾[1]، فأثنـوا عليهم بالطيب والتهذيب من كل دنس ودرن وغـل وغش، وكل آفـة في دين أو دنيا، ثم أذنوا لهم على الله بالدخول في جواره، ثم أخبروهم أنهم باقـون فيها أبداً، فقالوا طبتم فادخلوها خالدين، فلما سمعت الاذن وأولياء الله معك بادرتم الباب بالدخول فكظت الأبواب من الزحام ـ كما قال عتبة بن غزوان وكمـا قال النبي ﷺ: «**لا نقصـاً فهم على باب الجنـة أهم إلى من شفـاعتي**». فكظ من الزحام ـ فما ظنك بباب مسيرة أربعين عاماً كظيظه من زحام أولياء الرحمن فأكرم بهم من مزدحمين مبادرين إلى ما قد عاينوا من حسن القصور من الياقوت والدر. فتوهم نفسك أن عفا[2] الله عنك في تلك الزحمة مبادراً مع مبادرين مسروراً مع مسرورين بأبدان قد طهرت ووجوه قد اشرقت وأنارت فهي كالبدر، قد سطع من أعراضهم كشعاع الشمس، فلما جاوزت بابها وضعت قدميك على تربتها وهي مسـك أذفر ونبت الـزعفران المـونـع والمسـك مصبـوب على أرض من فضـة والزعفران نابت حولها فذلك أول خطوة خطوتها في أرض البقـاء بالأمن من[3] العذاب والموت، فأنت تتخطى في تـرب المسك وريـاض الزعفـران، وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر من حسن أشجارها وزينة تصويرها، فبينا أنت تتخطى في عرصات الجنان في رياض الزعفران وكثبـان المسك اذ نـودي في أزواجك وولدانك وخدامك وغلمانك وقهارمتك: «ان فلانا قد أقبل فـأجابـوا واستبشروا لقدومك كما يبشر أهل الغائب في الدنيا بقدومه» ـ كما قال على بن أبي طالب

---

(١) الزمر: ٧٣.
(٢) عفى.
(٣) في الهامش.

رضي الله عنه ـ فبينما أنت تنظر إلى قصورك اذ سمعت جلبتهم وتبشيشهم فاستطرت لذلك فرحاً، فبينما أنت فرق مسرور[1] بغبطتهم لقدومك لما سمعت اجلابهم فرحاً بك اذ ابتدرت القهارمة اليك وقامت الولدان صفوفاً لقدومك، فبينما أتت القهارمة مقبلة[2] اليك اذ استخف أزواجك للعجلة فبعثت كل واحدة منهن بعض خدمها لينظر اليك مقبلاً ويسرع بالرجوع اليها بقدومك لتطمئن اليه فرحاً وتسكن إلى ذلك سروراً فنظر إليك الخدم قبل أن تلقاك قهارمتك، ثم بادر رسول كل واحدة منهن إليها فلما أخبرها بقدومك قالت كل واحدة منهن لرسولها أنت رأيته من شدة فرحها بذلك ثم أرسلت كل واحدة منهن رسولاً آخر فلما جاءت البشارات بقدومك إليهن لم يتمالكن فرحاً فأردن الخروج إليك مبادرات إلى لقائك لولا أن الله كتب القصر لهن في الخيام إلى قدومك كما قال مليكك: ﴿**حور مقصورات في الخيام**﴾[3]، فوضعن أيديهن على عضائد أبوابهن وأذرعن بروؤوسهن[4] ينظرن متى تبدو[5] لهن صفحة وجهك فيسكن طول حنينهن وشدة شوقهن اليك وينظرن إلى قرير أعينهن ومعدن راحتهن وأنسهن إلى ولي ربهن وحبيب مولاهن، فبينا أنت ترفل في كثبان المسك ورياض الزعفران وقد رميت ببصرك إلى حسن بهجة قصورك إذ استقبلك قهارمتك بنورهم وبهائهم فاستقبلك أول قهرمان لك فأعظمت شأنه وظننت أنه من ملائكة ربك فقال لك: يا ولي الله انما أنا قهرمانك وكلت بأمرك ولك سبعون ألف قهرمان سواى، ثم تتابعه القهارمة ببهائهم ونورهم كل يعظمك ويسلم عليك بالتعظيم لك.

فتوهم قلبك في الجنان وقد قامت بين يديك قهارمتك معظمين لك ثم الوصفاء والخدام فاستقبلوا كأنهم اللؤلؤ المكنون فسلموا عليك، ثم أقبلوا بين يديك، فتوهم تبخترك في موكب من قهارمتك وخدامك يزفونك زفاً إلى قصورك

---

(١) فرقا مسرورا.

(٢) مقلة.

(٣) الرحمن: ٧٢.

(٤) بروسهن.

(٥) تبدوا.

وما أعد لك مولاك ومليكك، فلما أتيت بـاب قصرك فتحت الحجـاب أبوابـك ورفعت لك الستور وهم قيام على أقدامهم لك معظمين، فتوهم ما عاينت حين فتحت أبواب قصورك ورفعت ستـوره من حسن بهجة مقـاصيره وزينـة أشجاره وحسن رياضه وتلألؤ صحنه ونور ساحاته، فبينـا أنت تنظر إلى ذلـك اذ بادرت البشرى من خدامـك ينادون أزواجـك: هذا فـلان بن فلان قـد دخل من بـاب قصره، فلما سمعن نداء البشراء بقدومك ودخولك توثبن من الفرش على الأسرة في الحجال وعينك ناظرة اليهن في جوف الخيام والقباب فنظرت إلى وثـوبهن مستعجـلات قد استخفهن الفـرح والشـوق إلى رؤيتـك، فتـوهم تلك الأبـدان الرخيمة الرعبوبة الخريدة الناعمة يتوثبن بالتهادي والتبختـر، فتوهم كـل واحدة منهن حين وثبت في حسن حللها وحليتها بصباحة وجهها، وتثني بدنها بنعمته، فتوهم انحدارها مسرعة بكمال بدنها نازلة عن سريرهـا إلى صحن قبتها وقـرار خيمتهـا فوثبن حتى أتين أبـواب خيامهن وقبـابهن، ثم أخذن بـأيديهن عضـائد أبواب خيامهن للقصر الذي ضرب عليهن إلى قدومـك فقمن آخذات بعضـائد أبـوابهن، ثم خـرجن بـرؤوسهن[1] ووجـوهن[2] ينحـدرن من أبـواب قبـابهن متطلعات ينظرن إليك مقبلات قد ملئن منك فرحاً وسروراً.

فتوهم نفسك بسرور قلبك وفرحه وقد رمقتهن ببصرك ووقع ناظـرك على حسن وجـوههن وغنج أعينهن فلمـا قابلت وجـوههن حار طـرفك وهـاج قلبك بالسرور فبقيت كالمبهوت الذاهل من عظيم ما هاج في قلبك من سرور ما رأت عيناك وسكنت اليه نفسك، فبينما أنت ترفل اليهن اذ دنـوت من أبواب الخيـام فأسرعن مبادرات قد استخفهن العشق مسرعات يتثنين من نعيم الأبدان ويتهادون من كمال الأجسام ثم نادتك كل واحدة منهن: يا حبيبي ما أبطأك علينا؟ فأجبتها

---

(١) بروسهن. (٢) ووجوهن.

بأن قلت: يا حبيبة ما زال الله عز وجل يوقفني على ذنب كذا وكذا حتى خشيت أن لا أصل اليكن فمشين نحوك في السندس والحرير يثرن المسك ويحركن نبت الزعفران بأذيال حللهن وخلاخيلهن استعجالاً اليك وشوقاً وعشقاً لك، فأول من تقدمت منهن[1] اليك مدت اليك بنانها ومعصمها وخاتمها كما قال النبي عليه السلام، فتوهم حسن بنان أنشيء من الزعفران والكافور، ونعم في الجنان الألف من الدهور، فتوهمه حين مدته اليك يتلألأ نوراً ويضيء اشراقاً، فلما وضعت بنانها في بنانك وجدت مجسة لينة بنعيمه وكاد أن ينسل من يديك للينه، وكاد[2] عقلك أن يزول فرحاً بما وصل إلى قلبك من طيب مسيس بنانها، ثم مدت يدك إلى جسمها الرخيم الناعم فضمتك إلى نحرها فانثنيت عليها بكفك وساعدك حتى وضعته على قلائدها من حلقها، ثم ضممتها اليك وضمتك اليها، فتوهم نعيم بدنها لما ضمتك اليها كاد أن يداخل بدنك بدنها من لينه ونعيمه، فتوهم ما باشر صدرك من حسن نهودها ولذة معانقتها، ثم شممت طيب عوارضها فذهب قلبك من كل شيء سواها حتى غرق في السرور وامتلأ فرحاً لما وصل إلى روحك من طيب مسيسها ولذة روائح عوارضها، فبينا أنت كذلك إذ تمايعن عليك فانكببن عليك يلثمنك ويعانقنك فملأن وجهك بأفواههن ملتثمات وملأن صدرك بنهودهن فأحدقن بك بحسن وجوههن وغطين بدنك وجللنه بذوائبهن واستجمعت في مشامك أراييح طيب عوارضهن، فتوهم نفسك وهن عليك منكبات بفيك ملتثمات متشممات عليك متثنيات بنعيم أبدانهن، لهن استراحة عند ضمك اليهن لشدة العشق وطول الشوق اليك متشبثات بجسمك ومتنعمات بنسيم أراييح عوارضك، فلما استمكنت خفة السرور من قلبك وعمت لذة الفرح جميع بدنك وموعد الله عز وجل في سرورك فناديت بالحمد لله الذي صدقك الوعد وأنجز لك الموعد، ثم ذكرت طلبك إلى

---

(١) تقدمتهن.

(٢) كاد.

ربك اياهن بالدؤوب[١] والتشمير، فأين أنت في عاقبة ذلك العمل الذي استقبلته وأنت تلتثمهن وتشم عوارضهن ﴿**لمثل هذا فليعمل العٰملون**﴾[٢]، ثم أثنين عليك وأثنيت عليهن، ثم رفعن أصواتهن ليؤمنك بذلك من المعرفة لهن بحوادث الأزمان وتنغيض عيشك بأخلاقهن فنادين جميعاً بأصواتهن نحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الخالدات فلا نبيد أبداً، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبداً، طوباك أنت لنا ونحن لك، ثم مضيت معهن فيا حسن منظرك وأنت في موكبك من حورك وولدانك وخدامك، حتى انتهيت إلى بعض خيامك فنظرت إلى خيمة من درة مجوفة مفصصة بالياقوت والزمرد فنظرت إلى حسن أبوابها وبهجة ستورها، ثم رميت ببصرك إلى داخلها فنظرت إلى فرشها ونجدها وزرابيها وحسن تأسيس بنيانها[٣] قد بنيت[٣] طرائق على جنادل الدر والياقوت، ثم نظرت إلى سريرك في ارتفاعه وعليه فرشه، من الحرير والاستبرق بطائنهن، قد علا ظواهرهن من النور المتكثف وعلى أطرافهن من فوق الحرير والديباج وحسن الرفرف الأخضر وهي فصول المجالس، فلما تأملت تلك الفرش بحسنها وفوقها المرافق قد ثنتها حار طرفك فيها، ثم نظرت إلى حجلتها من فوق سريرها قد أحدقت بالعرش من فوقها.

فتوهم حسن الأبواب وحسن الستور وحسن[٤] عرصة القبة بحسن فرشها وحسن السرير وحسن قوائمه وارتفاعه وحسن الفرش فوقه والمرافق فوق فرشه والحجلة المضروبة من فوق ذلك كله فتماثل[٥] ذلك كله ببصرك، فلما دنوت من فرشك تطأمنت مع سريرك فارتفعت الحوراء وارتقيت معها. فتوهم صعودها عليه بعظيم بدنها ونعيمه حتى استوت عليه جالسة، ثم ارتقيت على السرير

---

(١) بالدوب.
(٢) الصافات: ٦١.
(٣ - ٣) في الهامش.
(٤) في الهامش.
(٥) فتمالت.

فاستويت عليه معها فقابلتك وأنت مقابلها، فيا حسن منظرك اليها جالسة في حللها وحليها بصباحة وجهها ونعيم جسمها! الأساور في معاصمها والخواتم في أكفها والخلاخيل في أسواقها والحقاب في حقوقها والوشاح قد تنظر نهديها وجال بخصرها والقلائد في عنقها والشحب على نحرها والأكاليل من الدر والياقوت على قصتها وجبينها والتاج من فوق ذلك على رأسها والذوائب من تحت التاج قد حل من مناكبها وبلغ أردافها وأنعالها، ترى[1] وجهك في نحرها وهي تنظر إلى وجهها في نحرك، وقد أحدق الولدان بقبتك وقد قام الوهط بين يديك ويديها، وقد تدلت[2] الأشجار بثمارها من جوانب حجلتك واطردت الأنهار حول قصرك واستعلى[3] الجداول على خيمتك بالخمر والعسل واللبن والسلسبيل وقد كمل حسنك وحسنها وأنت لابس الحرير والسندس وأساور الذهب واللؤلؤ على كل مفصل من مفاصلك، وتاج الدر والياقوت منتصب فوق رأسك، وأكاليل الدر مفصصة بالنور على جبينك، وقد أضاءت الجنة وجميع قصورك من اشراق بدنك ونور وجهك وأنت تعاين من صفاء قصورك جميع أزواجك وخدمك وجميع أبنية مقاصيرك، وقد تدلت عليك ثمار أشجارك واطردت أنهارك من الخمر واللبن من تحتك والماء والعسل من فوقك وأنت جالس مع زوجاتك على أريكتك، وقد فتحت مصاريع أبوابك وأرخيت عليك حجال خيمتك وحفت[4] الخدام والولدان بقبتك وسمعت زجلهم بالتقديس لربك، وقد اطلعوا على ضمير قلبك فسارعوا إلى كل ما حدثت به نفسك من أنواع كرامتك وسرورك وأمانيك فأتوك بكل أمنيتك، وأنت وزوجك بأكمل الهيئة وأتم النعمة، وقد حار فيها طرفك تنظر اليها متعجباً من جمالها وكمالها طرب قلبك لملاحتها وأنس قلبك بها من حسنها، فهي منادمة لك على أريكتك تنازعك وتعاطيك الخمر

---

(١) ترا.

(٢) تدللت.

(٣) واستعلا.

(٤) وخفت.

والسلسبيل والتنسيم في كأسات الدر وأكاويب قوارير الفضة. فتوهم الكأس من الياقوت والدر في بنانها، وقد قربت اليك ضاحكة بحسن ثغرها فسطع نور بنانها في الشراب مع نور وجهها ونحرها ونور الجنان ونور وجهك وأنت مقابلها، واجتمع في الكأس الذي في بنانها نور الكأس ونور الشراب ونور وجهها ونور نحرها ونور ثغرها، فما ظنك بذوائب شاب أمرد كامل الخلق، أنور الوجه، أبيض الجسم، أنضر الثياب أصفر الحلى من ذهب الجنان يشوبه حمرة الياقوت وبياض الدر وحسن العقيان، فيا لك عروس ويا تلك عروس طفلة أنيسة عربوبة كامل خلقها، ويا جمال وجهها، ويا بياض نهودها وتثنى جسمعها، يكسوها التأنيث ويلينها النعيم تنظر إليك بغنج الحور وتكلمك بملاحة المنطق وتداعبك بالدلائل وتلاعبك بالعشق والطرق، بيدها كأس در لا ظل له أو ياقوت لا شبه له من صفائه ورقة جسمه، قد جملته بحسن كفها وزميرتها ونور خواتهما فيه.

فتوهم حسن الكأس مع بياضه مع بياض الشراب مع بياض كفيها وحسنه، فتوهم كأس الدر والياقوت أو الفضة في صفاء ذلك في بنانها الكامل، وقد اقتربت اليك ضاحكة بحسن ثغرها وسطع نور بنانها في الشراب مع نور وجهها ونحرها وأنت مقابلها فضحكت أيضاً إليها فاجتمع في الكأس الذي في بنانها نورك مع نورها مع نور الكأس ونور الشراب ونور وجهها ونور نحرها ونور ثغرها ونور الجنان، فتوهمه بهذه الأنوار في ضيائه يلمع بصفائه في كفها، وقد مدت به اليك يدها بخواتمها وأساورها في معاصمها فناولتك الكأس بكفها، فيا حسن مناولتها ويا حسنها من يد، ثم تعاطتك[1] كأسات الخمر في دار الأمن واللذات والسرور، فتناولته منها ثم وضعته على فيك ثم سلسلته في فيك، فسار سروره في قلبك وعمت لذته جوارحك فوجدت منه طعماً أطيب طعماً وألذه فشربته والولدان قيام بين يديك. فتوهم ذلك وقد شربت الكأس من يدها، ثم ناولتها من

---

(١) تعاطيتك.

يدك فتناولته بحسن كفها وهي ضاحكة، فيا حسن مضحكها فشربته من يدك حتى اذا تعاطيتها الكأس ودار فيما بينكما وشاع نور الشراب في وجنتيها ورفعتما أصواتكما بالتحميد والتقديس لمولاكما وسيدكما ورفعت الولدان والخدام أصواتهم تسبيحاً وتهليلاً مجاوبة لكما فيا حسن تلك الأصوات بتلك النغمات في تلك القصور وتلك الخيمات.

فبينما أنتما في لذاتكما وسروركما وقد مضت الأحقاب من الدهور وما تشعران من اشتغال قلوبكما بنعيمكما اذ هجمت الملائكة بالسلام عليك وأتتك بالتحف والألطاف من عند ربك حتى اذا انتهت رسل ربك إلى الحجبة الذين دونك والقهارمة الموكلين بك فطلبوا اليهم الاذن عليك ليوصلوا ما أتوا به من عند مولاك اليك فقالت عند ذلك حجبتك لملائكة ربك: ان ولى الله مشغول مع أزواجه وانا لنكره الاذن عليه اعظاماً واجلالاً له، وكذلك يقول الله ربك تبارك وتعالى: وبذلك جاء التفسير ﴿في شغل فكهون﴾[1] فأعظم به من شغل وأعظم بك من ملك تستأذن عليك رسل ربك، ﴿وإذا رأيت وكذلك يقول الرافع قدر أوليائه في جواره تبارك وتعالى: ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾[2] فقيل في التفسير: ان ذلك استئذان الملائكة عليهم فقيل له رسول الله بالباب يا ولي الله لا يدخل عليك[3] الا باذن يا ولي الله فقد نلت من الله الرضا وبلغت غاية الملك والمنى[4].

فتوهم الملائكة وهي قائلة حين أبت حجابك أن تستأذن لهم عليك: انا رسل الله اليه بهدايا وتحف من عند ربه. فوثبت عند ذلك حجابك تستأذن لهم عليك. فتوهم أيدي الحجاب وقد مدوا بها إلى حلق الياقوت المفصص بالدر على صفائح الذهب الأحمر فقرعوا حلق أبواب قصرك، فلما اصطك حلق

---

(1) يس: ٥٥.
(2) الإنسان: ٢٠.
(3) عليه.
(4) والمنا.

الياقوت بأبواب قصرك من الدر والزمرد طنت الحلق على الأبواب بأحسن طنين تلذ بـه الأسماع وتسـر[1] به قلوب المستمعين، فلمـا سمعت الأشجار طنينهـا تمايلت ثمارهـا على بعضها بعضـاً فهبت بذلـك أراييح طيبهـا ونسيمها، ثم[2] أشرقت من قبتك بجمال وجهك واشـراق نورك فبادرت الحجبة اليـك بالقـول مسرعة وهي مع ذلك غاضة أبصارها تعظيماً لك، ولما رمق أبصارهم من اشراق نور وجهك: أن يا ولي الله رسل الله اليك بالباب ومعهم التحف من عند ربك، فرجعت اليهم بالجواب: أن أذنوا لرسل مولاى، ففتحت الحجبة عند اذنك لهم أبواب قصرك وأنت متكىء، فدخلوا على أريكتك والولدان قد صفوا بين يديك فأقبلت الملائكة بحسن صورهم والهدايا تلمع وتسطع نـوراً في أيديهم، فـدخلوا عليك من أبواب متفرقة لينجز لك ربك ما وعـدك من كل بـاب سلام عليـك، فبادروا بالسلام عليكم بحسن نغماتهم من كل أبوابك، ثم أتبعوا تسليمهم: يا ولي الله ان ربك يقول عليك السلام، وقد أرسل اليك بهذه الهدايا والتحف.

فتوهم سرور قلبك بتحف ربك ولطفه[3] اياك، حتى اذا خرجوا من عندك أقبلت على نعمتك مع زوجتك قد حار فيها طرفك واشتد لها سرورك، فبينا أنت معها في غاية السرور والحبور اذ أتى[4] النداء بأحسن نغمة وأحلى[5] كلام من بعض ما أعد الله من أزواجك: يا ولي الله أما لنا منك دولة؟ أما آن لك أن تنظر الينا؟ فلما امتلأت[6] مسامعك من حسن كلامها طار قلبك عشقاً لحسن نغمتها فأجبتها[7]: ومن أنت بارك الله فيك؟ فردت الجواب اليك: أنا من اللواتي قال الله عز وجل: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين**﴾[8] فتوهم وثوبك من

---

(١) وتشر.
(٢) ناقص في الأصل.
(٣) ولفظه.
(٤) أتا.
(٥) وأحلا.
(٦) امتلت.
(٧) أجبتها.
(٨) السجدة: ١٧.

سـريرك إلى صحن قبتـك، ثم مشيت مع ولـدانك وخـدمك وقـرن[1] ولدانهـا وخدامها يستقبلونك واستقبلوك ومشوا بين يديك حتى أتيت قبة من ياقوتة حمراء في قصر من در وياقوت، فلما دنوت من باب قصرها قامت قهارمتك وخدامـك رافعي ستـور قصرك فـدخلته ممتلئـاً سروراً. فتـوهم باب القصـر وحسن الستر وحسن الحجاب والقهارمة والخدام، ثم دخلت من باب قصرك الذي نادتك منه زوجتـك، فلما دخلت من بـابه وقـع بصـرك على حسن جـدرانـه من الـزمـرد الأخضر، وحسن رياضه، وبهجة بنائه، واشـراق عرصـاته، ونـظرت إلى قبتك التي فيها زوجتك يتلألأ نور القبة نوراً وضـوءاً واشراقـاً بنور وجهـك ونور وجـه زوجتك، فلما نظرت اليك نظرت من فرش الحرير والاستبرق والأرجوان فنزلت عن سريرها مبادرة قد استخفها شـدة الشوق اليـك وأزعجها العشق فاستقبلتك بالترحيب والتبجيل ثم عطفت عليك لمعانقتك ـ وكذلك روى أنس بـن مالـك عن النبي ﷺ ان الحوراء تستقبل ولي الله فتصـافحه ـ فتـوهم مجسة لين كفهـا بحسنها وخواتمها في كفك، وقد شخصت كالمبهـوت تعجباً من حسن وجههـا ونعيم جسمها وتلألؤ[2] النـور من عوارضهـا، ثم وضعت كفها في كفـك حتى أتيتما سريرك مضروبة عليه أريكتك فـارتقيتمـا جميعاً على أريكتـك واستدلت عليك جلال حجلتك وعانقت على فرشها زوجتك فمضت بك الأزمنة الطويلة، ثم أقبلت الولدان[3] بالكاسـات والأكواب فـاصطفت قبـالتكما، ثم أدرتمـا الكأس فيما بينكما، فبينا أنتما قد ملئتما فـرحاً وسـروراً اذ نادتـك أخرى من قصـر من قصورك: يا ولي الله أما لنا منك دولة؟ أما آن لك أن تشتاق الينا؟ فأجبتها: ومن أنت بـارك الله فيك؟ فـرجعت اليك القـول أنا من اللواتي قـال الله عز وجـل: ﴿ولدينا مـزيد﴾[4]، فتحـولت اليها وأنت تنتقـل فيما بين أزواجـك في قصورك

---

(١) وثرن.

(٢) وتلالى.

(٣) في الهامش.

(٤) سورة ق: ٣٥.

وخدامك وولدانك في غاية النعيم وكمال السرور، وقد زحزحت عنك كل آفة، وأزيل عنك كل نقص، وطهرت من كل دنس، وأمنت فيها الفراق، لأن الله تعالى قد قصد قلبك فقال للهموم زولي عنه فلا تخطري له أبداً، وقال للسرور تمكن فيه فلا تزول منه[1] أبداً، وقال للأسقام زولي عن جسمه فلا تعرضي[2] له أبداً، وقال للصحة أقيمي في بدنه فلا تبرحي أبداَ، وذبح الموت وأنت تنظر إليه فأمنت الموت فلا تخافه أبداً، ولا زوال ترتقبه ولا سقم يعتريك أبداً، ولا موت يعرض لك أبداً، قد منحت جوار ربك ترفل في أذيالك لا تخاف سخطه أبداً بعد رضاه[3] عنك، فلا تخاف نقمه فيما تنقلب (فيه) من نعيمه، وأنت عالم بأن الله عز وجل محب لك مسرور بك وبما تتقلب فيه من سرورك، فأعظم بدار الله داراً، وأعظم بجوار الله جواراً[4]، فالعرش قد أظلك بظله، والملائكة تختلف اليك بالألطاف من عند ربك في حياة لا يزيلها موت، ونعيم لا تخاف له فوتاً، آمنا من عذاب ربك، قد أيقنت برضاه[5] عنك، ووجدت برد عفوه في قلبك مقيماً دائماً في الخلود مع الأمان[6] لنوائب الدهر وحوادث الأزمان لك[6] ولجميع أوليائه، متحدثاً بجمعهم تحت ظل طوبى[7]، فبينا أولياؤه وأنت فيهم تحت ظل طوبى يتحدثون اذ أمر الله منادياً من ملائكته فنادى[8] أولياءه لينجز لأوليائه ما وعدهم من غاية كرامته وعظيم مسرته بأن يقربهم منه ويناجيهم بترحيبه ويريهم وجهه الكريم ليبلغوا بذلك أشرف المنازل وغاية السرور ومنتهى الرغبة، فلم تشعر الا ونداء الملك: أن يا أهل الجنة ان لكم عند الله لموعداً لم تروه، فيرجعون اليه القول استعظاماً لما أعطوا، فان لا عطية فوق ما أعطوا بعد ذلك، أدخلوا في جواره وأمنوا من عذابه وأنت قائلها معهم: ألم ينظر وجوهنا، ألم يدخلنا الجنة، ألم يزحزحنا عن النار، فناداهم أن

---

(١) منه.
(٢) تعرض.
(٣) رضايه.
(٤) جوار.
(٥) برضايه.
(٦-٦) في الهامش.
(٧) طوبا.
(٨) فنادا.

الله يستزيركم فزوروه، فبينما هم كذلك وقد كادت قلوبهم أن تطير بأرواحهم في أبـدانهم فرحـاً وسروراً، اذ أقبلت المـلائكة يقـودون نجـائب بخت خلقت من اليـاقوت، ثم نفـخ فيها الـروح مزمـومـة بسـلاسـل من ذهب، كـأن وجـوههم المصابيح نضارة وحسنا، لا تروث ولا تبول• ذوات أجنحة، قد علاها خـز من خز الجنة أحمر، ومرعز من مرعزها أبيض مشرق في بياضه، على ظهرها خطان حمرة في بياض على هيئة وتر النجائب في الدنيـا، لم ينظر الخـلائق الى مثله وحسن لونه.

فتوهم حسن تلك النجائب وحسن صورها، نجائب من ياقوت الجنة في حمرته وصفائه واشـراق نوره وتـلألؤه حين يمشي في تحركـه فتوهمهـا بحسنها وحسن وجوه الملائكـة وحسن أزمتها بسـلاسل من ذهب الجنـان وهي تقودهـا وتقبل بها إلى أولياء الله وأنت فيهم معتدلة في خببها بحسن سيرها لأنهـا نجب خلقت على حسن السير من غير تعليم من العباد، فهي نجب من غير رياضة، ذلل بسلاسلها منقادة من غير مهنة، فتوهم اقبال الملائكة بها اليهم حتى اذا دنوا من أوليائه أناخوها، فتوهم بروكها في حسنهـا وهيئة خلقهـا وقلبك عـارف أنك ستركب بعضها إلى ربك منطلقاً في الزائرين[1] له، فلما أنـاخوها فبركت على كثبـان المسك من ريـاض الزعفـران تحت طـوبى ومسـتراح العـابـدين أقبلت الملائكة على أولياء الله فقالوا بحسن نغماتهم: يا أولياء الـرحمن ان الله ربكم يقـريكم السلام ويسـتزيركم فـزوروه لينـظر اليكم وتنـظروا اليـه، ويكلمكم وتكلموه، ويجيبكـم وتجيبوه[2] ويزيدكم من فضله ورحمته، انه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم. فلما سمعها أولياء الله وسمعتها معهم وثبوا مسارعين إلى ركوبها حباً وشوقاً إلى ربهم، فتوهم سرعة توثبهم وأنت معهم بحسن وجوههم ونورها واشراقها سـروراً بقرب ربهم ورؤيـة حبيبهم، فتوهم هيبتهم حين رفعـوا أيمان أرجلهم إلى ركب اليـاقوت والـزمرد والـدر، فتوهم حسن أقـدامهم ونعيمهـا،

(١) الزارين.

(٢) وتحيوه.

انها[1] أقدام غيرت عن خلقها فأكسيت في الحسن بخلاف ما كانت عليه في دار الدنيا، ثم أكنها الله في جنته من كل آفة فغير خلقتها متخضبة، لها أحقاب الدهور في كثبان المسك ورياض الزعفران، فتوهم حسن نورها وقد رفعها أولياء الله إلى ركب الياقوت والدر، فتوهمها بحسنها في أحسن ركب نجائب الجنان، ثم ثنوا من غير عنف ولا مشقة حتى استووا على رحائل من الدر والياقوت مفضضة بالعبقرى والأرجوان، فيا حسن بياض الدر في حمرة الأرجوان، فلما استووا عليها واستويت على نجيبك معهم أثاروا نجائبهم فثارت، فثار عجاج المسك لوثوبها علا[2] ذلك ثيابهم وجمامهم، ثم استوت النجائب صفاً واحداً معتدلاً فصاروا موكباً معتدلاً لا عوج فيه، ولا يتقدم بعضها بعضاً، فأعظم به من موكب وأعظم به من ركبان، فتوهم امتداد صفهم في اعتداله واصطفاف وجوههم معتدلة في اصطفافها، وعلى جباههم الأكاليل، من فوق رؤوسهم[3] تيجان من الدر والياقوت، فما ظنك باجتماع وجوه أهل الجنان كلها، عليهم الأكاليل والتيجان مصطفة متحاذية، فما ظنك بأكثر من ألف ألف ألف ألف، وما تقدر القلوب على احصاء عدده من تيجان الدر والياقوت مطنطنة على وجوههم نضرة ضاحكة فرحة مستبشرة. فلو توهمت هذا الموكب بنجائبه واعتدال ركبانه واصطفاف تيجانه على وجوه أولياء الله المشرقة الناعمة من تحته، ثم رهقت نفسك اشتياقاً لكنت لذلك حقيقاً، ولكنت به حرياً ان عقلت ذلك شوقاً من قلبك بايقان بانجاز من موعد ربك لذلك لأوليائه، فلما اعتدل الصف واصطفت التيجان تبادروا بينهم: سيروا إلى ربنا.

فتوهم النجائب حين أخذت في السير بأخفاف من الياقوت سيراً واحداً بخط واحد[4] لا يتقدم بعضها بعضاً، تهتز أجسام أولياء الله عليها من نعيمها

(١) في الهامش.
(٢) على.
(٣) روسهم.
(٤) بخطا.

وأكتافهم متحاذية في سيرهم وأخفاف رواحلهم وركبها متحاذية في خببها، فانطلقوا كذلك تثير رواحلهم المسك بأخفافها، وتهتز رياض الزعفران بأرجلها، فلما دنوا من أشجار الجنة رمت الأشجار اليهم من ثمارها فصارت الثمار وهم يسيرون في أيديهم. فيا حسن تلك في أكفهم، وتزحزحت وتنحت الأشجار عن طريقهم لما ألهمها مولاها أن لا يتثلم صفهم فيتعوج بعد استوائه، ويختلف بعد اعتداله، ويفرق بين ولي الله ورفيقه لأنهم رفقاء في الجنان لتحابهم في الدنيا في ربهم، فالرفقاء مشهورون كل رفيقين قد شهرا بالمرافقة، وجعل زيهما ولباسهما لوناً واحداً، ولون رواحلهما[1] لوناً واحداً.

فتوهم نفسك اذ من عليك ربك وأنت لاصق برفيقك منكبك بمنكبه، وقد دنوتما من أشجار الجنة فنفضت ثمرها فوقعت الثمار في أيديكما[2] وأيدي أولياء الرحمن، ثم تنحت بأصولها عن طريقهم فهم يسيرون فرحين، وقد شخصت قلوبهم بالتعلق إلى نظر حبيبهم فهم يسيرون بالسرور ويلتفت بعضهم إلى بعض يتحادثون ويضحك بعضهم إلى بعض، يتداعبون في سيرهم، يحمدون ربهم على ما صدقهم على ما أباح لهم من جواره، فبينا هم في سيرهم اذ دنوا من عرش ربهم وعاينوا أحسن حجبه ونوره واستحثوا السير شوقاً وحباً وفرحاً به.
فتوهم نجائبهم تطير في سيرها باعتدال موكبهم واشراق وجوههم والملائكة قد أحدقت بالنجائب تزفهم زفاً إلى ربهم حتى انتهوا إلى فحصة عرش مولاهم، فتوهم سعة تلك الفحصة وحسن نورها ببهجتها وزهرتها،وقد وضعت الزرابى والنمارق على كثبان المسك، عرف كل فتى[3] منهم ما أعد له، والكراسي لأهل صفوته من عباده، وأحبائه من خلقه، لما دنوا إلى ما أعد لهم من المنابر والكراسي والزرابي والنمارق، فثنى رجله الحسنة من الركاب إلى منبر أو كرسي أو زربة، فتوهم ثنيهم أرجلهم إلى كراسيهم، حتى استووا عليها،

---

(١) رواحلهم.
(٢) أيديكم.
(٣) فتا.

فتوهم نعيم تلك الأفخاذ والأوراك المرتفعة على الكراسي بالدر والياقوت فأعظم به من مقعد وأعظم بولي الله متربعاً. فلما أخذ القوم مجالسهم واطمأنوا في مقعدهم والحجب تسطع نورها فيا لذة أعينهم، وقد أصغوا بمسامعهم منتظرين لاستماع الكلام من[1] حبيبهم، فتوهمهم في مقعدهم الصدق الذي وعدهم مولاهم ومليكهم في القرب منه على قدر[2] منازلهم، فهم في القرب منه على قدر[2] مراتبهم، فالمحبون له أقربهم اليه قرباً اذ كانوا له في الدنيا أشد حباً، وأقرب إلى عرشه منهم القائمون بحجته عند خلقه، ثم الأنبياء عليهم السلام ثم الصديقون على قدر ذلك في القرب من العزيز الرحيم، فأعظم به من مزور، وجل وتكبر من مزور.

فتوهم مجلسهم بحسن كرامتهم وجمال وجوههم[3] واشراقها لما رهقها نور عرشه عز وجل واشراق حجبه[4] فلو صح لك عقلك ثم توهمت مجلسهم واشراق كراسيهم ومنابرهم وما ينتظرون من رؤية ربهم، ثم طار روحك شوقاً اليه لكنت بذلك حقيقاً. فلما عظم ذلك عند عاقل عن الله، مشتاق إلى ربه ورؤيته، فتوهم ذلك بعقل فارغ لعل نفسك أن تسخى[5] بقطع كل قاطع يقطعك عنه، وترك كل سبب يشغلك عن التقرب فيه إلى ربك. فلما استوى بهم المجلس واطمأن بهم المقعد وضعت لهم الموائد ليكرم الله عز وجل زواره بالاطعام والتفكيه لهم، ووضعت الموائد لزوار الله عز وجل وأحبائه من خلقه، قامت الملائكة على رؤوسهم[6] معظمين لزوار الرحمن، فوضعت الصحاف من الذهب فيها الأطعمة وطرائف الفاكهة مما لم يحسنوا أن يتمنوا، فقدموا أيديهم مسرورين باكرام ربهم لهم، لأن حقاً على كل مزور أن يكرم زائره فكيف بالمزور الكريم الواحد الجواد الماجد العظيم. فتوهم وهم يأكلون فرحين

---

(١) في الهامش.
(٢، ٢) في الهامش.
(٣) وجوهم.
(٤) في الهامش.
(٥) تسخا.
(٦) روسهم

مستبشرين باكرام مولاهم لهم، حتى اذا فرغوا من أكلهم قال الجليل لملائكته: اسقوهم، فأتتهم الملائكة، لا الخدام والولدان، بأكواب الدر وكؤوس[1] الياقوت، فيها الخمر والعسل والماء والألبان، فتوهم تلك الكأسات وتلك الأكواب بأيدي ملائكة الرحمن، فتناولوها أولياء الله فشربوها، فتنازع حسن الشراب في وجوه الزوار، فلما سقتهم الملائكة ما أمرهم الله به من الأشربة قال الجليل: اكسوا أوليائي، فتوهم الملائكة، وقد جاءت بالحلل التي لم يلبسوا في الجنة مثلها، ثم قاموا على رؤوسهم[2] فألبسوها أهل كرامة الله ورضوانه، فتوهم وقد صيروها[3] من فوق رؤوسهم حتى صارت على أقدامهم فأشرقت بحسنها وجوههم، ثم أمر الجليل تبارك وتعالى أن طيبوهم، فارتفعت السحاب بحسنها وشدة ضيائها ونورها لحمل ألوان الطيب من المسك وجميع طيب الجنان ما لم يجدوا مثل رائحته، فتوهمها تمطر عليهم والطيب يتساقط عليهم مطراً حتى علا جباههم وثيابهم، فلما أكلوا وشربوا وخلعت الملائكة الخلع وطيب[4] مطر السحاب، شخصت أبصارهم وتعلقت قلوبهم ثم رفع الحجب، فبينا هم في ذلك اذ رفعت الحجب فبدأ لهم ربهم بكماله، فلما نظروا اليه والى ما لم يحسنوا أن يتوهموه ولا يحسنون ذلك أبداً لأنه القديم الذي لا يشبهه شيء من خلقه، فلمّا نظروا اليه ناداهم حبيبهم بالترحيب منهم وقال لهم: مرحبا بعبادي، فلما سمعوا كلام الله بجلاله وحسنه غلب على قلوبهم من الفرح والسرور ما لم يجدوا مثله في الدنيا ولا في الجنة، لأنهم يسمعون[5] كلام من لا يشبه شيئاً من الأشياء. فتوهمهم، وقد أطرقوا وأصغوا بمسامعهم لاستماع كلامه، وقد علا وجوههم نور السرور لكلام حبيبهم وقرير أعينهم فلو توهمت نفسك وقد سمعت قول الله لأوليائه مرحبا بهم، ثم طار روحك فرحاً به وحباً له لكان ذلك منه حقيراً وصغيراً عندما توهمته من نفسك عند استماع كلامه،

---

(١) وكوس.

(٢) روسهم.

(٣) صيرها.

(٤) طيب.

(٥) يسمعوا.

فحياهم بالسلام فردوا عليه أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والاكرام. فمرحبا بعبادي وزواري وخيرتي من خلقي الذين رعوا عهدي وحفظوا وصيتي وخافوني في الغيب وقاموا منى على كل حال مشفقين، وقد رأيت الجهد منهم في أبدانهم[1] أثرة لرضاى عنهم، قد رأيت ما صنع بكم أهل زمانكم فلم يمنعكم جفاء الناس عن حقي، تمنوا على ما شئتم. فلو رأيتهم وقد سمعوا ذلك من حبيبهم يذكرهم ما كانوا عليه في دنياهم من رعاية عهده وحفظه ودوام خوفهم منه، وقد استطاروا فرحاً لما شكر لهم رعايتهم حقه، وحفظ منهم خوفهم، ورحب بهم محبة لهم، اذ كانوا بذلك اياه في الدنيا يعبدونه، استطارت قلوبهم فرحاً وسروراً إذ لم يفرطوا في طاعته ولم يقصروا في مخافته، فاغتبطوا لما كانوا به لله في الدنيا يدينون من شدة خوفهم ورعاية حقه وحفظه، فردوا إليه[2] الجواب مع سرور قلوبهم بالقسم لعظمته وجلاله، أنهم قد قصروا عما كان يحق له عليهم اعظاماً له واستكثاراً، إذ أثابهم جنته وأكرمهم بزيارته وقربه واستماع كلامه، فقالوا عند ذلك: وعزتك وجلالك[3] وعظمتك وارتفاع مكانك ما قدرناك حق قدرك، ولا أدينا إليك كل حقك فأذن لنا بالسجود، فقال لهم ربهم: اني قد وضعت عنكم مؤونة العبادة وأرحت لكم أبدانكم فطالما أتعبتم الأبدان وأكنتم لي الوجوه، فالآن أفضتم إلى كرامتي ورحمتي فتمنوا على ما شئتم - وفي بعض الحديث أنهم اذا نظروا اليه خروا فيناديهم بكلامه تبارك[4] وتعالى: ارفعوا رؤوسكم[5]، ليس هذا حين عمل، هذا حين سرور ونظر - فتوهم بعقلك نور وجوههم وما يداخلهم من السرور والفرح حين عاينوا مليكهم، وسمعوا كلام حبيبهم، وأنيس قلوبهم، وقرة أعينهم، ورضا أفئدتهم، وسكن أنفسهم، فرفعوا رؤوسهم[6] من

---

(١) في الهامش.
(٢) في الهامش.
(٣) في الهامش.
(٤) تباك.
(٥) روسكم.
(٦) روسهم.

سجودهم، فنظروا إلى من لا يشبهه شيء بأبصارهم، فبلغوا بذلك غاية الكرامة ومنتهى[1] الرضا والرفعة. فما ظنك بنظرهم إلى العزيز الجليل الذي لا يقع عليه الأوهام ولا يحيط به الأذهان، ولا تكيفه الفكر، ولا تحده الفطن، الذي لا تأويه الأرحام، ولم تنقله الأصلاب، ولا يبدو[2] فيكون مطبوعاً منتقلاً، الأزلي القديم الذي حارث العقول عن ادراكه، فكلت الألسنة عن تمثيله بصفاته، فهو المنفرد بذاته عن شبه الذوات، المتعالى بجلاله على مساواة المخلوقين، فسبحانه لا شيء يعادله، ولا شريك يشاركه، ولا شيء يريده فيستصعب عليه أو يعجزه. انشاؤه، استسلم لعظمته الجبارون، وذل لقضائه الأولون والآخرون، نفذ في الأشياء علمه بما كان وبما لا يكون، وبما لو كان كيف كان يكون، فأحاط بالأشياء علماً، وسمع أصواتها سمعاً وأدرك أشخاصها......[3] ونفذ فيها ارادته، وأمضى[4] فيها مشيئته، فهي مدبرة.....[5] وقربها اختراعاً فكانت عن ارادته، لم يتقدم منها شيء قبل وقته الذي أراد فيه كونه، ولم[6] يتأخر فيه عن نهيه وكيف يستصعب عليه من لم يكن شيئاً مذكوراً حتى كونه سبحانه الواحد القهار.

فلما سر أولياء الله برؤيته وأكرمهم بقربه ونعم قلوبهم بمناجاته، واستماع كلامه، أذن لهم بالانصراف إلى ما أعد لهم من كرامته ونعيمهم ولذاتهم، فانصرفوا على خيل الدر والياقوت على الأسرة فوقها الحجال ترف وتطير في رياض الجنان. فما ظنك بوجوه نظرت إلى الله عز وجل وسمعت كلامه كيف ضاعف حسنها وجمالها، وزاد ذلك في اشراقها ونورها، فلم تزل في مسيرها حتى أشرفت على قصورها، فلما بدت لخدامها وقهارمتها وولدانها بادر كل واحد منهم خدامه وقهارمته وولدانه مستقبلة من أبواب قصوره حتى أحدقوا به

---

(١) ومنتها.
(٢) يبدوا.
(٣) بياض في الأصل.
(٤) وامضا.
(٥) بياض في الأصل.
(٦) لم.

يزفونه إلى قصوره وخيامه، فلما دنا من باب قصره[1] وخيامه قامت الحجاب رافعي ستور أبواب قصره معظمين مجلين له وبادرت اليه أزواجه، فلما نظرت زوجته إلى جمال وجهه قد ضوعف في حسنه واشراقه ونوره، ازدادت له حباً وعشقاً، وأشرقت قصوره وقبابه وخيامه وأزواجه من نور وجهه وجماله، وازدادت أزواجه حسناً وجمالاً ووجاهة وحشمة، ثم نزلوا عن خيولهم إلى صحون قصورهم، ثم اطمأنوا على فرشهم وعادوا إلى نعيمهم واشتاقوا إلى منادمة اخوانهم فركبوا النجائب والخيل عليها يتزاورون، حتى التقوا على أنهار الجنة[2] ففرشت لهم نمارق الجنان[2] وزرابيها على كثبان المسك والكافور، وتقابل الاخوان على السرور والشراب، فقامت الولدان بالكأسات والأباريق والأكواب يغترفون من أنهار الجنة، أنهارهم الخمر والسلسبيل والتسنيم، فلما أخذت الولدان الكأسات واغترفوا ليسقوا أولياء الرحمن، لم يشعروا الا بنداء الله عز وجل: يا أوليائى طالما رأيتكم في الدنيا وقد ذبلت شفاهكم ويبست حلوقكم من العطش، فتعاطوا اليوم الكأس فيما بينكم وعودوا في نعيمكم فـ **﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾**[3] فلا يقدر الخلائق أن[4] يصفوا سرور قلوبهم حين سمعوا كلام مولاهم يذكر أعمالهم شكراً منه لهم، وغبطة منه لهم، لما ناداهم إلى[5] معاطاة الكأس للمنادمة بينهم بعد معرفتهم في الدنيا. . . .[6] منادمة أهل الدنيا على خمورهم. فلو رأيت وجوههم[7] وقد أشرقت بسرور كلام مولاهم واغتباطه لما ذكرهم أعمالهم الصالحة من صيامهم، وتركهم منادمة أهل الدنيا لمرضاته، وما عوضهم من المنادمة في جواره، وما أيقنوا به من سرورهم بمنادمتهم على الخمر والعسل

---

(١) في الهامش.
(٢ ـ ٢) في الهامش.
(٣) الحاقة: ٢٤.
(٤) ناقص في الأصل.
(٥) من.
(٦) بياض في الأصل.
(٧) وجوهم.

والألبان، فأعظم به من مجلس وأعظم به من جمع، وأعظم به من منادمين في جوار الرحمن الرحيم، فكن إلى ربك مشتاقاً وإليه متحبباً، لما حال بينك وبينه قاطعاً وعنه معرضاً، وابتهل في الطلب إلى الله بفضله واحسانـه، وأن لا يقطع بك عنهم. وبالله التوفيق وإليه المصير، والجنة مثـوى المؤمنين وثواب المتقين وسرور المحزوبين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تم (كتاب التوهم) بحمد الله وصلى الله على محمد النبي

وعلى آله أجمعين اللهم وفق لمن كتبه و. . . .

فهرس تحليلي لكتاب التوهم

الصفحة